منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET
https://twitter.com/SourAlAzbakya

ترياق الأفاعي
في الرد على الخارج البقاعي

تأليف الإمام العلامة

الشيخ محمد بن جمعة الحصكفي

المتوفى بعد سنة ٨٧٤هـ

إعداد وتحقيق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

من علماء الأزهر الشريف

تقديم فضيلة الشيخ

أحمد ابن الشيخ محمد مصطفى القادري النبوي
الشافعي البربلي السيلاني

ناشر كتب أهل السنة والجماعة

دار الآثار الإسلامية
للطباعة والنشر
بربلي - سريلانكا

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

https://twitter.com/SourAlAzbakya

https://www.facebook.com/books4all.net

منتدى سور الأزبكية
www.books4all.net

ترياق الأفاعي

في الرد على الخارج البقاعي

تصنيف

الإمام العلامة الشيخ الحجة محمد بن جمعة الحصكفي

المتوفى بعد سنة ٨٧٤ هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

من علماء الأزهر الشريف

تقديم فضيلة الشيخ

أحمد ابن الشيخ محمد مصطفى القادري النبوي

الشافعي البربلي السيلاني

ناشر كتب أهل السنة والجماعة

دار الآثار الإسلامية

للطباعة والنشر

بربلي - سريلانكا

دار الآثار الإسلامية
للطباعة والنشر
Email: daarulathaar786@yahoo.co.in

© جميع الحقوق محفوظة

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو تخزينه أو تسجيله بأية وسيلة، أو تصويره دون موافقة كتابية من الناشر.

الكتاب: ترياق الأفاعي في الرد على الخارج البقاعي

تصنيف: الإمام العلامة محمد بن جمعة الحصكفي

تحقيق: الشيخ أحمد فريد المزيدي

الناشر: دار الآثار الإسلامية، بربلي، سريلانكا

الطبعة الأولى: ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

رقم الإيداع: ٣٠٠٠٨/ ٢٠٠٧

الترقيم الدولي: 1 -54-6156-977

طبع في القاهرة

يطلب من:

دار الفنون للتوزيع	مكتبة الحرمين للتوزيع	دارة الكرز للنشر للتوزيع
Dar Al-Funoun NABAVIYYAH SHOPPING COMPLEX #115,SHEIKH JAMALDEEN ROAD, BERUWALA, SRI LANKA. TEL. /FAX:0094 34 4 288535 Email:alfunoun786@yahoo.co.in	MAKTABATUL HARAMAIN FIRIJ AL MARAR, OPP, AL SHAIKA LATIFA BIG MASJID.P, O, BOX 55782. DEIRA, DUBAI, UAE, TP 0097142731979 FAX 0097142731969	١٧ ش منشية البكري مصر الجديدة القاهرة، مصر تليفون: ٤٥٥١٣٠٤ Email:darkaraz@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ترياق الأفاعي في الردّ على الخارج البقاعي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم وتقريظ

لفضيلة الشيخ أحمد ابن الشيخ محمد ابن الشيخ عبد السميع ابن الشيخ محمد ابن الإمام الكامل، والولي الكبير العارف بالله، المدفون بجنة المُعَلَّى، المحقق الداعي إلى الحق والدين الشيخ مصطفى ابن باوا آدم القادري النبوي الشافعي البربلي السيلاني.

الحمد لله رب العالمين، حمدَ الذاكرين الشاكرين، حمدَ العابدين، حمدَ المحبين والمحبوبين، حمدَ المقربين المخصوصين.

أحمده سبحانه وتعالى على نعمه بأن جعل من عباده من يدافع للحق، وينتصر لأوليائه الصالحين، ويصدّ عنهم اعتراض المعترضين، وجهل الجاهلين.

وأصلي وأسلم على حبيب المعبود طه ياسين المحمود ﷺ صلاةً تبلغنا بها من بحر عطائك، وتلهمنا بها معرفة ثنائك، وتقربنا بها من معين رضاك.

صلاة وسلامًا دائمين دون انقطاع، وآله وصحبه، وجميع الأتباع.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ليس بينه وبين عباده حجاب.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ﷺ، وخيرته من خلقه وصفوته من عباده ﷺ، سيد البشر ﷺ الشافع المشفع في المحشر ﷺ جامع الأحباب ﷺ، وعلى آله وصحبه الذين خصَّهم الله فنطقوا بالحكمة وفصل الخطاب.

وبعد ... قد افترى على الشيخ ابن الفارض ﷺ وقدس الله سره العزيز- من يُدعى بالبقاعي، الذى ظهر أنه يعمل بعمل أهل الجنة، ولكن غلبت عليه شقوته،

وسبق عليه الكتاب، فصار من أهل العذاب، المنسوب إليه التفسير المشهور، المسمَّى بنظم الدرر، والحق أنه ليس له، كما هو معلوم عند أهل العلم، فألف رسالةً، وإن شئت قلت ضلالةً في تكفير الشيخ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [الصف:٨]، ولكن هيهات هيهات ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾.

فقيَّد الله لهذا البقاعي الجاهل الشيخ العالم الكامل أبا عبد الله محمد بن جمعة الحصكفي ﷺ، من جعله سيفًا لدينه، يذبُّ عنه سفاهة ذوي الأحلام، فألَّف هذا الشيخ الجليل الصالح كتابًا في الرد على ذاك الشقي أسماه: «**ترياق الأفاعي في الرد على الخارج البقاعي**»، وهو كتابٌ حافلٌ في الرد على ذاك الغافل، و«الانتصار» للشيخ ابن الفارض منبع الفضائل.

وقد قام أيضًا الشيخ السيوطي فألف مقامةً أسماها «**قمع المعارض في نصرة ابن الفارض**»، وقد دافع عن الشيخ وغيره من أكابر أئمة الأولياء والكثير من العلماء، وقد وقفنا على الكثير من تلك الكتب، والتى لا يزال أكثرها مخطوطًا، والتي لو نشرت لما كان لهذا الجهل والتجرء على أولياء الله موجودًا، ولعلمنا حقيقة أن تلك العلوم والمعارف التي أظهرها القوم هي غاية هذا الدين الخاتم، وأنها مقصود الشرع الشريف، ولَعَلِمَ مَن أنكرها أو من لم يعرفها أنه ما عرف عن الدين وعن رسول الله ﷺ إلا اسمه، لا غير.

وقد هيىء الله لمعاونتنا معًا لنصرة أهل الحق- الشيخ أحمد فريد المزيدي- الذي رجع إلى منهج العارفين، بعد قضاء عمر في غياهب المضلين، فجاء ليحقق هذا السِفر العظيم، ليصبح حجةً شامخةً منيرةً إلى يوم الدين.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد ﷺ شجرة الأصل النورانية، ولمعة القبضة الرحمانية ﷺ وأفضل الخِلقَة الإنسانيةﷺ وأشرف الصورة الجسمانية ﷺ ومعدن الأسرار الربانية ﷺ وخزائن العلوم الاصطفائية ﷺ صاحب القبضة الأصلية ﷺ والبهجة السنية ﷺ والرتبة العلية ﷺ من اندرجت النبيون تحت لوائه فهم منه وإليه ﷺ تسليمًا كثيرًا.

كتبه

العبد الفقير الحقير إلى الله السميع البصير الرَّاجي عفو الله العلي الكبير

بحق جاه سيدنا البشير النذير ﷺ

تراب أقدام أصحاب الوراثة المحمدية من سلسلة القادرية النبوية

الشيخ أحمد ابن الشيخ محمد ابن الشيخ عبد السميع ابن الشيخ محمد ابن
الشيخ مصطفى ابن باوا آدم القادري النبوي الشافعي البربلي السيلاني

شيخ الطريقة القادرية النبوية

أطال الله بقاءه وأدام تأييده ونعماءه وكبت أعداءه

في ٦ من شهر الله المحرم سنة ١٤٢٨ من الهجرة النبوية المصطفوية

وصلِّ اللَّهُمَّ عَلَى نبيِّك الكامل الفاتح الخاتم، خاصِّ خواصِّ العالم، مُظهر سرِّ الوجود، وقابض زمام أنبيائك، الشاهد بكتابك، الدالِّ عليك، سيدنا محمد ﷺ وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .. آمين

المصنف وكتابه

هو الشيخ العالم العلامة المحقق المدقق محمد بن جمعة الحصفكي الشيباني.

كان حيًا سنة ٨٧٤ هـ.

من آثاره:

- ترياق (درياق) الأفاعي في الرد على الخارج البقاعي.

الترياق، مشتق من «تيريون»، باليونانية، وهو اسم لما ينهس من الحيوان، كالأفاعي ونحوها، ويقال له بالعربية أيضًا: الدرياق.

وقد فرغ من تأليف هذا الكتاب سنة ٨٧٤ هـ.

ويعرض المصنف في كتابه هذا ما انكره البقاعي عل الشيخ ابن الفارض، وعلى تائيته المشهورة.، وما نسبه إليه بدعوى الحلول والاتحاد.

وأبان بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة والحجج القوية، افتراءات هذا البقاعي،

معتمدًا في الرد عليه على الكتاب والسنة وأقوال الأئمة.

وأوضح استخفافه لمشايخه وعلماء عصره كالحافظ ابن حجر وأبي الحسن الحرالي، شيخه الذي سرق منه كتابه ونسبه لنفسه.

وأيضًا الشمس القاياتي، والسراج البلقيني، والعلاء القلقشندي، والجلال المحلي، وابن قريبة المحلي، وابن ظُريف، وغيرهم من علماء عصره.

وانظر:

- الكواكب الدرية للمناوي (٥٤٤).
- هدية العارفين (١/ ٢٨٤).
- إيضاح المكنون (٢/ ٥٥).
- معجم المؤلفين (٩/ ١٥٩).

❊ ❊ ❊

نقل الشيخ المناوي في البقاعي

قال العلامة المناوي في ترجمة الشيخ أبي الحسن الحرالي ما نصه:

وصنَّف – الحرالي– تفسيرًا ملأه بحقائقه، ودقائق فكره، ونتائج قريحته، وأبدى فيه من مناسبات الآيات والسور ما يبهر العقول وتحار فيه الفحول، وهو «رأس مال البقاعي»، ولولاه ما راح ولا جاء، لكنه لم يتمه، ومن حيث وقف، وقف حال البقاعي في مناسباته !!!!!.

***

ترجمة سيدي ابن الفارض

قدس الله سره العزيز

ونور ضريحه الشريف

مولده بالقاهرة في شهر ذي القعدة سنة سبع وسبعين وخمسمائة، وتُوفي أيضًا بالقاهرة بجامع الأزهر بقاعة الخطابة في شهر جمادى الأوّل سنة اثنين وثلاثين وستمائة.

ودُفن بالقرافة بسفح الجبل المقطَّب عند مجرى السِّيل، تحت المسجد المعروف بالعارض الذي هو أعلى الجبل المذكور.

وكان ﷺ معتدل القامة، وجهه جميلٌ حسنٌ، مشرَّب بحمرة ظاهرة، وإذا تواجد وغلب عليه الحال يزداد وجهه نورًا وجمالاً، ويتحدّر العرق من سائر جسده حتى يسيل تحت قدميه على الأرض، وكان عليه نور وجلالة وهيبة، وكان إذا حضر في مجلسٍ يظهر على ذلك المجلس سكون وسكينة، وكان يحضر مجلسه من الفقراء والفقهاء والقُرَّاء وأكابر الدولة من الأمراء، والوزراء، والقضاة، ورؤوس الناس، فيكونون معه في غاية الأدب، وإذا خاطبوه كأنهم يخاطبون ملكًا عظيمًا، وإذا مشى في المدينة يزدحم الناس عليه، يلتمسون منه البركة والدعاء، ويقصدون تقبيل يده، فلا يمكِّن أحدًا من ذلك بل يصافحه، وكانت ثيابه حسنة ورائحته طيبة، وكان ينفق على من يرد عليه نفقة متَّسعة، ويعطي من يده عطاءً جزيلاً، ولم يكن يتسبَّب في تحصيل شيء من الدنيا، ولا يقبل من أحدٍ شيئًا.

قال الشيخ كمال الدِّين محمد ولده: سمعت والدي الشيخ عمر يقول: كنت في

أول تجريدي استأذن والدي، وأطلع إلى وادي المستضعفين بالجبل المقطّم، وأقيم في هذه السّياحة ليلاً ونهارًا ثم أعود إلى والدي؛ لأجل بره ومراعاة قلبه، وكان والدي يومئذٍ خليفة الحكم العزيز بالقاهرة ومصر، وكان من أكابر أهل العلم والعمل، فيجد سرورًا برجوعي إليه، ويلزمني بالجلوس معه في مجالس الحكم ومدارس العلم، ثم أشتاق إلى التجريد وأستأذنه وأعود إلى السياحة، وما برحت أفعل ذلك مرة بعد مرةٍ إلى أن سُئل والدي أن يكون قاضي القضاة فامتنع ونزل عن الحكم.

واعتزل الناس وانقطع إلى الله بالجامع الأزهر إلى أن تُوفي، فعاودت إلى التجريد والسّياحة وسلوك الطريقة، فلم يُفتح عليّ بشيء، فحضرت يومًا من السّياحة إلى المدينة، ودخلت المدرسة السوقية فوجدت رجلاً شيخًا بقالاً على باب المدرسة يتوضأ وضوء غير مرتّبٍ، غسل يديه ثم غسل رجليه ثم مسح برأسه ثم غسل وجهه، فقلت: يا شيخ إنك في هذا السّن في دار الإسلام، وأنت تتوضّأ وضوء غير مرتّبٍ، فنظر إليّ وقال: يا عمر أنت ما يُفتح عليك في مصر، وإنما يُفتح عليك بالحجاز في مكة، فاقصدها فقد آن لك وقت الفتح، فعلمت أن الرّجل من أولياء الله تعالى، وأنّه يتستر بالمعيشة وإظهار الجهل بترتيب الوضوء، فجلست بين يديه وقلت له: يا سيدي، وأين أنا ومكة ولا أجد ركبًا ولا رفقةً في غير أشهر الحج؟! فنظر إليّ وقال: هذه مكة، فتركته وطلبتها فلم تبرح أمامي حتى دخلتها في ذلك الوقت، وجاءني الفتح حين دخلتها، وترادف ولم ينقطع، وشرعت في السّياحة في أوديتها وجبالها، وكنت أستأنس فيها بالوحش ليلاً ونهارًا، وأقمت بوادٍ بينه وبين مكة عشرة أيام للراكب المجد، وكنت آتي

منه كل يومٍ وليلةٍ وأصلِّي في الحرم الصلوات الخمس، ومعي سبعٌ عظيم الخلقة يصحبني في ذهابي وإيابي، وينخ لي كما ينخى الجمل، ويقول: يا سيدي اركب، فما ركبته قط.

وتحدث بعض جماعة من أكابر المشايخ المجاورين بالحرم بمكة بتجهيز مركوب يكون عندي في البرِّية، فظهر لهم السبع عند باب الحرم، فرأوه وسمعوا قوله: يا سيدي اركب، فاستغفروا الله، وكشفوا رؤوسهم واعتذروا إليَّ.

ثم بعد خمسة عشر سنة سمعت الشيخ البقال يناديني: يا عمر، تعالَ إلى القاهرة، فاحضر وفاتي، فأتيته مسرعًا فوجدته قد احتضر، فسلَّمت عليه وسلَّم عليَّ، وناولني دنانير ذهب وقال: جهِّزني بهذه، وافعل كذا وكذا، واستأجر من يحمل جنازتي إلى القرافة، واعطِ كل واحدٍ دينارًا، واتركني على الأرض في هذه البقعة، وأشار بيده إليها فلم تبرح بين عيني وهي بالقرافة عند مجرى السَّيل، قال: وانتظر قدوم شخص يهبط إليك من الجبل، فصلِّ أنت وهو عليَّ، وانتظر ما يفعل الله في أمري، وتُوفي الشَّيخ البقَّال فجهزته كما أشار، وطرحته في البقعة كما أمرني، فهبط إليَّ رجلٌ من الجبل كما يهبط الطَّير المسرع لم أره يمشي على رجليه، فعرفته بشخصٍ كنت أراه يصفع قفاه في الأسواق، فقال: يا عمر تقدَّم فصلِّ بنا على الشيخ، فتقدمت وصليت إمامًا، ورأيت طيورًا خضرًا وبيضًا صفوفًا بين السماء والأرض يصلُّون معنا، ورأيت طائرًا منهم عظيم الخلقة أخضر قد هبط عند رجليه وابتلعه، وارتفع إليهم، وطاروا جميعًا ولهم زجل بالتسبيح إلى أن غابوا عنَّا، وقال لي ذلك الرجل: يا عمر، أما سمعت أن أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهم شهداء السيوف!

وأمَّا شهداء المحبَّة فكل أجسادهم وأرواحهم في أجواف طيور خضر تسرح في الجنة، وهذا الرجل منهم يا عمر، وأنا كنت منهم، وإنما وقعت مني هفوة فطُردت عنهم، وأنا أصفع قفاي بالأسواق ندمًا وتأديبًا على تلك الهفوة، قال: وارتفع الرجل إلى الجبل الطائر إلى أن ارتفع عنِّي.

قال الشيخ محمد: قال لي يا والدي: إنما حكيت لك هذا لأرغبك في سلوك طريقنا، فلا تذكره لأحدٍ في حياتي، فلم أذكره لأحدٍ حتى تُوفي، ودُفن في تلك البقعة حسب وصيَّته، وضريحه بها معروفٌ يُزار.

قال سبطه ﷺ:

جِزْ بالقرافةِ تحتَ ذيلِ العَارِض — وقُلْ السَّلامُ عليكَ يَا ابن الفَارضِ
أبرزت في نظمِ السُّلوكِ عَجَائبًا — وكشفت عن سرٍّ مصونٍ غامضِ
وشربت من بحرِ المحبَّة والولا — فرُويت من بحرٍ محيطٍ فائضِ

وقال غيره:

لَمْ يَبْقَ صيب مزنة إلا وقد — وُجبت عليه زيارة ابن الفارض
لا غرو أن يُسقى ثراه وقبره — باقٍ ليومِ العرض تحت العَارض

قال ولده الشيخ كمال الدِّين محمد ﷺ: كان الشيخ في غالب أوقاته لا يزال داهشًا، شاخصًا بصره، لا يسمع من يكلِّمه ولا يراه، فتارة يكون واقفًا، وتارة يكون قاعدًا، وتارة يكون مستلقيًا على ظهره، مستحي كما يستحي الميت، ويمر عليه العشرة أيام متواصلة وأقل وأكثر وهو على هذه الحالة، لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك، ثم لم يستفق وينبعث من هذه الغيبة حتى يصحو، ويكون أول كلامه أنه يملي من القصيدة ما فتح الله تعالى عليه.

قال سبطه ﷺ: طالعت في مجموعٍ بخط شيخ رجل صالح، فرأيت من جملتها فيه القصيدة الثانية المُسمّاة بنظم السلوك، ورأيت قبلها ترجمة هذه صورتها:

قال الشيخ المحقق شرف الدين عمر بن الفارض قدس سره ونوَّر ضريحه: هذه القصيدة الغراء، والفريدة الزَّهراء التي لم يُنسج على منوالها، ولا سنح خاطرٌ بمثلها، وتكاد تخرج عن طوق وسع البشر ألفاظًا ومعاني، وكان سمّاها أوَّلاً: أنفاس الجنان ونفائس الجنان، ثم سمّاها: لوائح الجنان وروائح الجنان، ثم رأى النبي ﷺ فقال له: «سمِّها نظم السلوك[1]» فسمّاها بذلك.

وحكى جماعة يُوثق بهم ممن صحبوه وباطنوه، أنه لم يكن نظمها على حدِّ نظم الشعراء أشعارهم، بل كان يحصل له جذبات يغيب فيها عن حواسه الأيام نحو الأسبوع والعشرة أيام، فإذا أفاق أملى ما فتح الله تعالى عليه به، منها نحو الثلاثين والأربعين والخمسين بيتًا، ثم يدع حتى يعاوده ذلك الحال، ومَن تأمَّلها حقَّ التَّأمُّل علم أنَّ لها نبأ عظيمًا، صانها الله عن غير أهلها، ثم كتب القصيدة بعد هذه الترجمة.

وقد اعتنى بشرحها جمعٌ من الأعيان: كالسراج الحنفي الهندي قاضي الحنفية بمصر، وكان كثير المحبة للشيخ، حتى أنه عزَّر ابن أبي حجلة؛ لتكلُّمه في الشيخ بما لا يرضي الله، والشمس البسطاي، والجلال القزويني الشافعي، غير متعقِّبين ولا مبالين بكلام المنكرين الحسَّاد.

وكذلك الشيخ القيصري، والقاشاني، والعلواني الحموي.

وكذا شرحها الشيخ الفرغاني، وهو الشارح الأول لها، وأقدم المؤيدين له

---

(١) ذكره الحاجي خليفة في كشف الظنون (١/ ٢٦٥)، وهو حديث كشفي.

حكى: أن الشيخ صدر الدين القوني عرض لشيخه الشيخ محيي الدين بن العربي.

فقال له: هذه العروس بكرًا من أولادك، فشرحها الشيخ الفرغاني، وهو من تلامذة الشيخ القوني، وكذلك شرحها الشيخ القاشاني والشيخ القيصري وغيرهم، وعلى القصيدة الخمرية عدة شروحٍ، أحدها لابن كمال باشا، وكذالك اليائية، وقد شرحها الإمام السيوطي، وقد شرح الديوان كله بعض العارفين: كالشيخ النابلسي ﷺ.

قال الذهبي: كان سيِّد شعراء زمانه.

وقال ابن العماد في «شذراته»: أفضل الشعراء على الإطلاق.

ولم يزل الشيخ على حاله، راقيا في سماء كماله ﷺ حتى احتضر، فسأل الله أن يحضره في ذلك الهول العظيم جماعةٌ من الأولياء، فحضره جماعةٌ: منهم البرهان الجعبري، فقال كما حكاه سبط الشيخ: رأيت الجنة لما مثلت له، بكى وتغيَّر لونه، ثم قال:

إن كان منزلتي في الحب عندكم   ما رأيتُ فقد ضيَّعتُ أيامي

قال: فقلت له: يا سيدي هذا مقامٌ كريمٌ. فقال: يا إبراهيم رابعةٌ وهي امرأةٌ تقول: (وعزَّتك ما عبدتك رغبةً في جنتك، بل لمحبَّتك)، وليس هذا ما قطعت عمري في السلوك إليه، فسمعتُ قائلاً يقول له: ما تروم؟ قال: أروم وقد طال المدى منك نظرة ... البيت، فتهلل وجهه، وقضى نحبه، فقلت: إنه أُعطي مرامه اهـ.

وحُكي أنه: لما فوَّض أمر قاضي القضاة التقي الدين في أيام الملك المنصور، وقع في حق شيخ الشيوخ شمس الدين الأيكي في مجلس حفل، وقال له: أنت تأمر الصُّوفية بالاشتغال بنظم السلوك قصيدة ابن الفارض، وهو يميل فيها إلى الحلول،

وأهانه بالكلام فدعا عليه وقال: مثَّل الله بك كما مثلت بِيَّ، فعُزل عقيب ذلك من الوزارة في آخر الدولة المنصورية، ثم عُزل عن القضاء في الدولة الأشرفية، وصُودر ومُثل به، وحُبس مدة، ونُسب إلى سوء الاعتقاد، وإلى أنه وقع في كلامٍ يفسق به.

قال سبط الشيخ عمر: فلما منَّ الله تعالى عليه بالخلاص من هذه النكبة حضَرْتُ عنده أنا والشيخ سعد الدِّين الحارثي، وسمعته يحمد الله تعالى على حسن العافية والسَّلامة، فعرضت له بذكر واقعته مع الشيخ شمس الدين الأيكي، ووقوعه في حقِّه وحق شيخنا الشيخ عمر ابن الفارض، وأنه نسبهما إلى الحلول، وأنهما بريئان منه، وقلت: وكيف يُتصور أن الشيخ يميل إلى الحلول في قصيدته وقد نزَّه عقيدته عنه بقوله:

وكيفَ وباسمِ الحقِّ ظلَّ تحلقي ... تكون أراجيف الضَّلاَل مخيفتي
وها دحية وافي الأمين نبيّنا ... بصورته في بدء وحي النبوة
أجبريل قل لي كان دحية إذْ بدا ... لمهدي الهُدى في صورة بشرية
وفي عِلْمِه عن حاضريه مزية ... بماهية المرئي من غير مريةِ
يرى ملكًا يوحي إليه وغيره ... يرى رجلاً يدعي إليه بصحبةِ
ولي من أتم الرؤيتين إشارة ... تُنزِّه عن رأي الحلول عقيدتي
وفي الذِّكر ذكر اللبس ليس بمنكرٍ ... ولم أعد عن حكمي كتاب وسُنَّة

فقال: أنا أحب الناس في نظم الشيخ عمر بن الفارض، وحفظت ديوانه وأنا شابٌّ وانتفعت به، وهذه الأبيات ما كان سمعتها قط إلا في هذه الساعة، وقد زال من ذهني الآن ما كنت اعتقده من ميل الشيخ في قصيدته إلى الحلول، وأنا استغفر الله مما

جرى من الكلام في حقِّه، فقلت له: وفي حق الشيخ شمس الدين الأيكي؟ فقال: نعم، وما برحت في قلقٍ من دعائه إلى أن حلَّت بي هذه المحنة، فالله تعالى يغفر لي وله، وأنا تائبٌ إلى الله تعالى من الوقوع في حقِّ أهل هذا الطريق انتهى.

وقال ولده الشيخ محمد: سمعت والدي الشيخ عمر يقول: حصلت مني هفوة فوجدت لها مؤاخذة في باطني بسببها، وانحصرت باطنًا وظاهرًا حتى كادت روحي تخرج من جسدي، فخرجت هائمًا على وجهي، فطلعت الجبل المقطم وقصدت مواطن سياحتي، وأنا أبكي وأستغيث وأستغفر، فلم يفرج ما بي، فنزلت إلى القرافة ومرَّغتُ وجهي في التراب بين المقابر، فلم ينفرج ما بي، فقصدت مدينة مصر ودخلت الجامع الأزهر، ووقفت في صحن الجامع خائفًا مذعورًا، وجددت البكاء والتضرُّع والاستغفار، فلم ينفرج ما بي، فقلت على حالٍ مزعجٍ، وصرخت وقلت:

مَـنْ ذَا الـذي مَـا سَـاءَ قَـطْ وَمَـنْ لَـهُ الحُسْنى فَقَـطْ

فسمعت قائلاً يقول: بين السماء والأرض، أسمع صوته ولا أرى شخصه: محمد الهادي الذي عليه جبريل هبط.

وقال أيضًا: رأيت الشيخ نهض قائمًا ورقص زمانًا طويلاً، وتواجد وجدًا عظيمًا، وتحدر منه عرق كثير حتى سال تحت قدميه، وخرَّ إلى الأرض، واضطرب اضطرابًا شديدًا، ولم يكن عنده غيري، ثم سكن حاله، وسجد شكرًا لله تعالى، فسألته عن سبب ذلك فقال: يا ولدي، فُتح عليَّ بمعنى بيت واحد لم يفتح بمثله، وهو:

وعَلَى تفنن وَاصِفيه بحسنِهِ يفنى الزمان وفيه ما لم يُوصف

وقال ﷺ أيضًا: قال: كان الشيخ ماشيًا في السوق بالقاهرة فمرَّ على جماعةٍ من

الحرسية يضربون بالناقوس، ويغنُّون بهذين البيتين:

مَـوْلاَي سـهرنا نبتغـي مِنْـكَ وصــال   مَوْلاَي فلم تسمح فنمنـا بخيـال
مَـوْلاَي فلـم تطـرق فـلا شـك بـأن   ما نحن إذًا عنـدك مـولاي ببـال

فصرخ الشيخ صرخة عظيمة، ورقص رقصًا كثيرًا في وسط السوق، ورقـص معه ناس كثير من المارين في الطريق، حتى صارت جولة عظيمة، وتواجدت النّاس إلى أن سقط أكثرهم إلى الأرض، والحراس يكررون ذلك، وخلع الشيخ كل ما كان عليـه ورمى بهم إليهم، أو خلع الناس معهم ثيابهم، وحُمل بين الناس إلى الجامع الأزهر وهو عريانٌ مكشوف الرأس، ولم يبقَ عليه سوى لباس، وأقام في هذه الـسكرة أيامًـا مُلقـى على ظهره، مستحي كالميت، فلما أفاق جاء الحرَّاس إليه ومعهـم ثيابـه، وقـدموها بـين يديه فلم يأخذها، وبذل الناس لهم فيها ثمنًا كثيرًا، فمنهم من باع، ومنهم من امتنع من بيع نصيبه وأمسكه عنده تبرُّكًا به.

وقال ﷺ أيضًا: كان الشيخ ماشيًا في الشارع الأعظم بالقرب من مـسجد ابـن عثمان وكنت معه، وإذا بنائحة تنوح وتندب على ميتة في طبقةٍ من النساء، وهن يجاوبنها وهي تقول:

سِـــتِّي مُتِّـــي مـــن حقًّـــا   أي والله حقًّـــــا حقًّـــــا

فلما سمع الشيخ صرخ صرخة عظيمة، وخرَّ مغشيًا عليـه، فلـما آفـاق صـار يقول ويردّد مرارًا:

نَفْـــسِي مُتِّـــي مـــن حقًّـــا   أي والله حقًّـــــا حقًّـــــا

وقال ﷺ أيضًا: كان الشيخ جالسًا في الجامع الأزهر على بـاب قاعـة الخطابـة

بالقرب من المنبر، وعنده جماعة من الأمراء والفقراء، وفيهم جماعة من مشايخ الأعجام المجاورين بالجامع الأزهر وغيرهم، وكلما ذكروا حالاً من حال الدنيا مثل الفراش وغير ذلك، يقولون: هذا زخم العجم، فبينما هم في هذا الكلام وإذا بالمؤذنين رفعوا أصواتهم بالأذان جملةً واحدةً، فقال الشيخ: وهذه زخم العرب، وصرخ صرخة عظيمة وتواجد، وصرخ كل من كان حاضرًا حتى كانت لهم في الجامع ضجَّة عظيمة.

وفي طبقات المناوي: أنّه مرَّ رجلاً يومًا ومعه بلالين: أي مياذر، فدعاه رجل: يا صاحب البلالين، فطرب الشيخ عمر قدس سره، وصاح وبكى وناح.

ومن خوارقه العجيبة وأحواله الغريبة أنه قدس سره رأى جملاً لسقا فكلف به، وهام وصار يأتيه كل يومٍ ليراه، ويسقي بأجماله شيئًا كثيرًا، وكان يشخص في بعض الأيام إلى الأسطوانة أو العمود الأسبوع فأكثر فلا يطرف بعينه، وله من أمثال هذه الواقعات كثير، وكان عشّاقًا يعشق مطلق الجمال.

وحُكي عن الشيخ شمس الدِّين بن عمارة المالكي أنّه كان ينكر على الشيخ عمر ﷺ، فتوجَّه لزيارة أخيه يوسف فأجهده العطش، ولم يجد ماء إلا في قلةٍ على قبر الشيخ عمر ﷺ، فرجع عن إنكاره.

وكان الشيخ عز الدين بن جماعة ينكر عليه أيضًا، فرأى في النوم جماعة قد وقفوا بين يدي الشيخ عمر ﷺ، وقيل له: هؤلاء المنكرون عليك، فقطع ألسنتهم، فانتبه مذعورًا ورجع عن إنكاره.

ولما وصل شيخ الإسلام محمد بن إلياس قاضي القضاة إلى مصر صار ينال من الشيخ عمر ﷺ، ويتوعَّد زواره ومن ينشد كلامه يوم الجمعة عند قبره على العادة، وتطلَّب كتاب شرح المنهاج للسبكي؛ لكونه حظ فيه على الشَّيخ عمر ﷺ ونقصه، فابتُلي بمرضٍ فما شُفي منه حتى رجع. والحكايات في ذلك كثيرة.

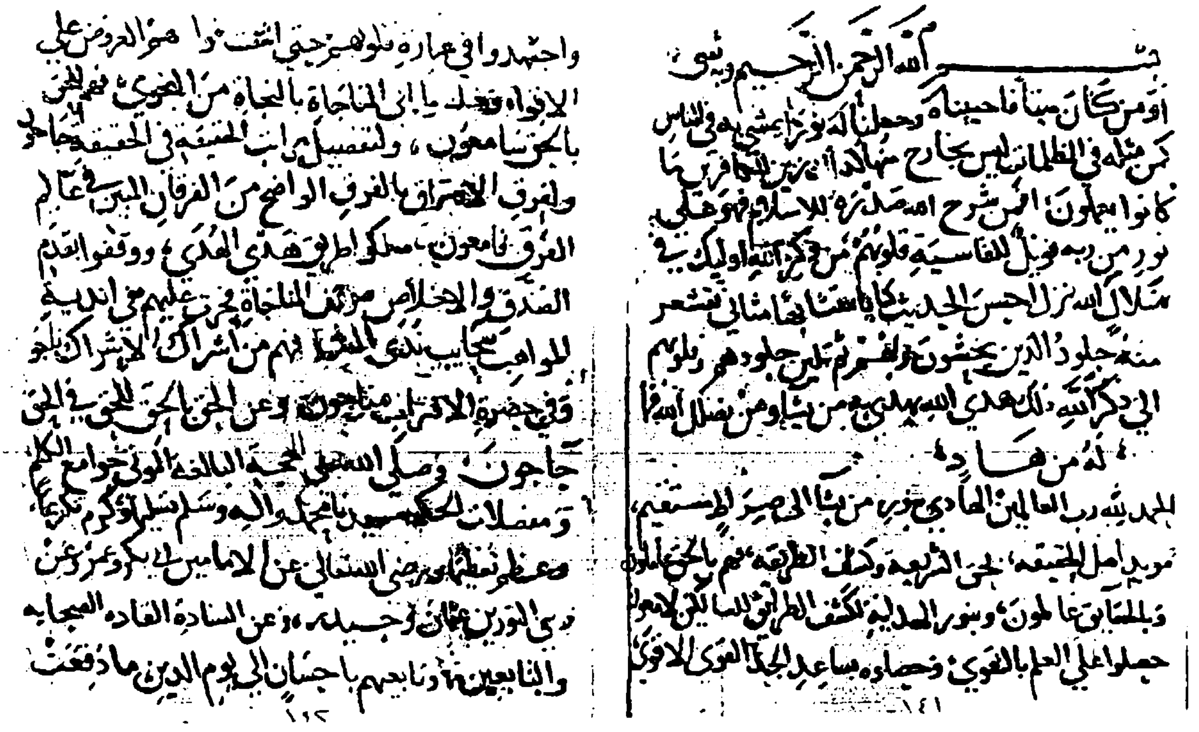

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثق
أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس
كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما
كانوا يعملون. أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على
نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في
ضلال مبين. الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر
منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم
إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما
له من هاد.
الحمد لله رب العالمين الهادي من يشاء إلى الصراط المستقيم
مؤيد أهل الحقيقة بحبل الشريعة وكشف الطريقة فهم بالحق عاملون
وبالحقائق عالمون، وبنور الهداية لكشف الطريق السالكين للأعمال
حصلوا على العلم بالقوى وحصلوا مساعد الجد القوي الأقوى
١٤١

واجتهدوا في عمارة قلوبهم حتى اتصفوا بهم العروض على
الأنوار وتحققوا بالمناجاة بالنجاة من الهوى فهم للحق
بالحق سامعون، وليتقبل بآداب الحقيقة في الحقيقة جاهدوا
ولفرق الاحتراق بالغرق الواضح من الفرقان المبين في عالم
الفرق ناطقون، سلكوا طريق هدى الهدى ووقفوا بقدم
الصدق والإخلاص من مقام المناجاة فجرى عليهم من أنديته
المواهب سحائب ندى المشاهدة فهم من أشراك الإشراك ناجون
وفي حضرة الاقتراب متناجون وعن الجنان الحق بالحق في الحق
حاجون. وصلى الله على الحجة البالغة المؤتى جوامع الكلم
ومفصلات الحكم سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً وكرم تكريماً
وعظم تعظيماً ورضي الله تعالى عن الإمامين أبي بكر وعمر وعن
ذي النورين عثمان وعلي وجميعه وعن السادة القادة الصحابة
والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ما دفقت
١٤٢

صورة الورقة الأولى

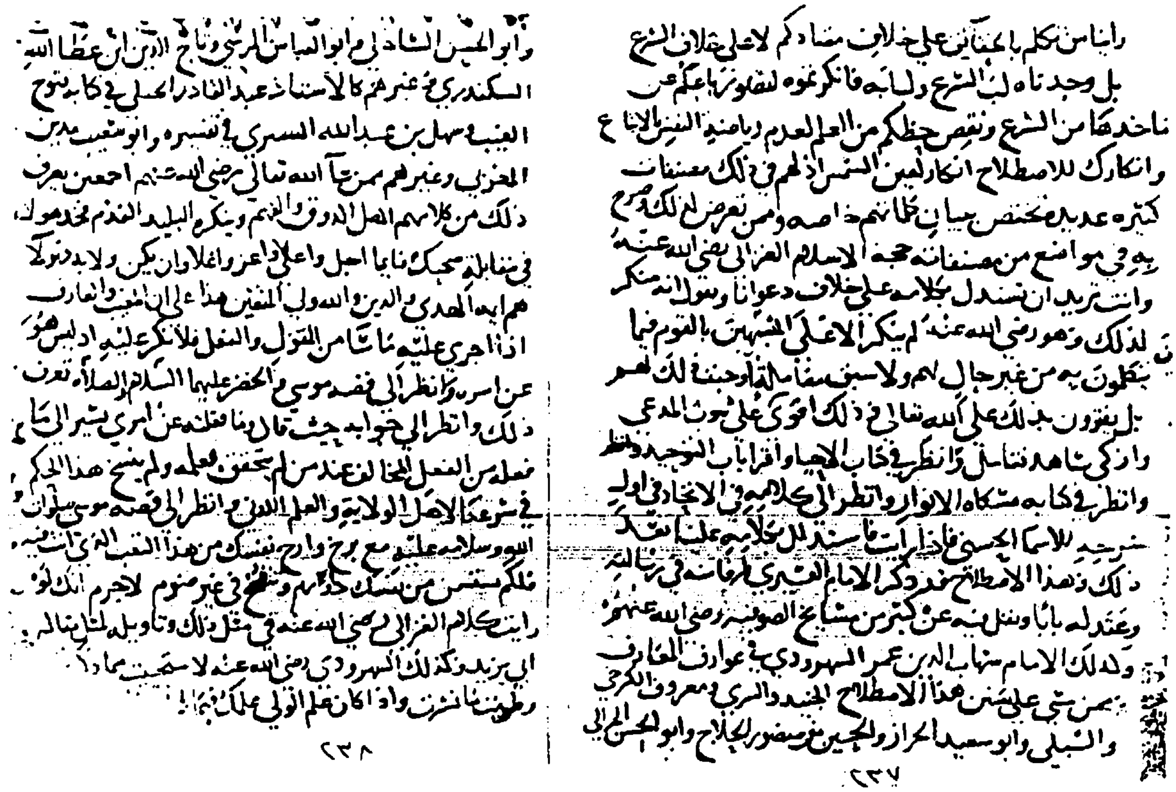

رأينا من تكلم بالحقائق على خلاف ما عندكم لا على خلاف الشرع
بل وجدناه لب الشرع ولبابه فأنكرتموه لقصوركم عن
مأخذها من الشرع ونقص حظكم من العلم اللدني [illegible]
وإنكارك للاصطلاح إنكار [illegible] إذ لهم في ذلك مصنفات
كثيرة عديدة تختص ببيان كلامهم [illegible] ومن تعرض لذلك صرح
به في مواضع من مصنفاته حجة الإسلام الغزالي رضي الله عنه
وأنت تريد أن تستدل بكلامه على خلاف دعوانا [illegible] منكر
لذلك وهو رضي الله عنه لم ينكر إلا على المتشبهين بالقوم فيما
يتكلمون به من غير حال لهم ولا سبق منازلة [illegible]
بل يفترون بذلك على الله تعالى في ذلك أقوى على ثبوت المدعي
وإن كنت شاهدنا فتأمل وانظر في كتاب الإحياء واقرأ باب التوحيد وانظر
وانظر في كتابه مشكاة الأنوار وانظر إلى كلامه في الاتحاد في أول
شرحه للأسماء الحسنى فإذا رأيت ما [illegible] لكلامه علمنا أنه قد
ذلك وهذا الاصطلاح قد ذكره الإمام القشيري [illegible] في رسالته
وعقد له بابا ونقل فيه عن كثير من مشايخ الصوفية رضي الله عنهم
وكذلك الإمام شهاب الدين عمر السهروردي في عوارف المعارف
وممن تكلم على لسان هذا الاصطلاح الجنيد والسري ومعروف الكرخي
والشبلي وأبو سعيد الخراز والحسين بن منصور الحلاج وأبو الحسن [illegible]

٢٣٧

وأبو الحسن الشاذلي وأبو العباس المرسي وتاج الدين ابن عطاء الله
السكندري وغيرهم كالأستاذ عبد القادر الجيلي في كتابه فتوح
الغيب وسهل بن عبد الله التستري في تفسيره وأبو شعيب مدين
المغربي وغيرهم [illegible] الله تعالى رضي الله عنهم أجمعين يعرف
ذلك من كلامهم أهل الذوق والفهم وينكره البليد الفدم مخذول
في مقابلة [illegible] ما أجل وأعلى وأعز وأغلى وإن يكن ولا بد [illegible]
هم أئمة الهدى والدين [illegible] هذا إلى أن تعرف العارف
إذا جرى عليه ما شاء من القول والفعل فلا ينكر عليه إذ ليس هو
عن أمره وانظر إلى قصة موسى مع الخضر عليهما السلام والصلاة تعرف
ذلك وانظر إلى جوابه حيث قال وما فعلته عن أمري يشير إلى ما
فعله من الفعل المخالف عند من لم يحقق فعله ولم ينسخ هذا الحكم
في شرعنا الأصل الولاية والعلم اللدني وانظر إلى قصة موسى صلوات
الله وسلامه عليه مع برخ وأرح نفسك من هذا التعب الذي أنت فيه
فلكم [illegible] وتقع في غير مفهوم لا جرم أنك لو
رأيت كلام الغزالي رضي الله عنه في مثل ذلك وتأويله لما قاله
أبي يزيد وكذلك السهروردي رضي الله عنه [illegible]
[illegible] وإذا كان علم الولي [illegible]

٢٣٨

صورة الورقة الأخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٢٢]

﴿أَفَمَن شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ * اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر:٢٢، ٢٣].

الحمد لله رب العالمين، الهادي بنوره من يشاء إلى صراط مستقيم، مؤيد أهل الحقيقة، بحق الشريعة وكشف الطريقة، فهم بالحق عاملون، وبالحقائق عالمون، وبنور الهداية لكشف الطريق للسالكين لامعون، حصلوا على العلم بالتقوى، وحصّلوه بساعد الجد القوي الأقوى، واجتهدوا في عبادة قلوبهم حتى انشقت فواهم العروض على الأفواه، وخلّى ما أتى المناجاة بالنجاة من النجوى، فهم للحق بالحق سامعون، ولتفصيل مراتب الحقيقة في الحقيقة جامعون ، ولفرق الافتراق بالفرق الواضح من الفرقان المبين في عالم الفرق قامعون، سلكوا طريق هدي الهدى، ووقفوا بقدم الصدق والإخلاص موقف المناجاة؛ فجرت عليهم في أندية المواهب سحائب ندى الرحمن، فهم من إشراك الاشتراك ناجون، وفي حضرة الاقتراب مناجون، وعن الحق بالحق للحق في الحق حاجون.

وصلى الله على الحجة البالغة المؤتى جوامع الكلم، ومفصلات الحكم، سيدنا محمد وآله وسلم تسليمًا وأكرم تكريمًا وعظم تعظيمًا، ورضي الله تعالى عن الإمامين أبي

بكر وعمر وعن ذي النورين عثمان وحيدر، وعن السادة القادة الصحابة والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، ما دُفِعَتْ وصمة كلمة الاتحاد، ورُفعت شبهة الاتحاد، آمين.

أما بعد ...

فإنه لما كان في العشر الأواخر من شوال المبارك عام أربع وسبعين وثمان مائة، أحسن الله خاتمتها، وختم بخير عاقبتها، أشار عليَّ وليٌّ من حكمت حسن ولائه، ودخلت في زمرة أتباعه تحت لوائه رفعه الله، وكان لي عليّ ولي أن أقوم في الرد على مَن قام بمنكر الإنكار على أولياء الله، وأقوم به لمن سلك مسلك الغوي اللاه، ففي سبيل الله حاد عن الطريق، وحاد أهل التحقيق، وخرق إجماعهم فرقعوه، وذلك ذاب أهل التمزيق، وخلع في غيبتهم العذار، وخلق في غيبة رب العارض العذار، فكان الخليق أن يكسوه الخليع اللباس الخليق، لما عرض نفسه لصوائب مصائب الإعراض، وأعرض عن القبول قابلًا للإعراض، وجعل عرضه وعرضه عرضًا لسهام الأغراض، وعرض لبعض ساداتنا الأولياء، وخلاصة الأصفياء الأتقياء، الناصح لدين الله دين الإسلام، والموضح له طريق السلامة في بيان التسليم والاستسلام، بنفس هوائي نفسي، وسحر شيطاني نفثي، وكلمات مصدرها ظن السوء وسوء الظن، ومنشأها صورة الجن في ليل الجهل إذا جن، خيل بظاهرها الغيرة على الدين وهو الغائر عليه والغابر، وادَّعى السبق في مضماره إلى حدِّ امتثال الأمر بالمعروف في تغيير المنكر، فكان هو العابر إلى مدى التأخر والعاثر، رام قيام الحجة فقامت ولكن عليه، ونعى يبتغي سقوط أهل الحق فسقط من عينه فسُقط في يديه.

ولما كان منه ما كان لا كانَّ ولا استكان.

فاستخرت الله تعالى في ردِّ ما أُهدي المنكر إليه، والاستدلال بها منه عليه ليكون ذلك لي ذُخرًا في الدنيا والدين، وطريقًا أتوسل به وأتوصل إلى طرق باب الشفاعة من سيد المرسلين، ابتغاءً لوجه الله، ونصرة لدين الله ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ * لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ [آل عمران:١٢٦، ١٢٧] ، واسترجعت سيدي المشير لي بذلك، ثم سارعت إلى ما هنالك، وسميته:

بـ «درياق الأفاعي في الرد على الخارج البقاعي»، حسبما أشار به بعض الإخوان من الفقراء الحاضرين، وسلامٌ على نوحٍ في العالمين.

فأقول، وبالله القوي قولي، وبازل شدته طولي وحولي، قد زعمتَ أيها المغتر بنفسه، القانع برجسه، والمعجب البائس من بأسه ببأسه، والمشتري درهم قمره الناقص بعين شمسه، البائع درهمه بفلسه، والساقط النجم بطلوع نحسه، والمطرب لمفاصله عند تحريك أوتارها بحسه، والمصاب في عقله بخبط وتخبط من مسّه، والحاسر لتاج الوقاية والوقار بيده عن رأسه، والآيس بجنة المستجن عن أنسه، والمستوحش في أُنسه، المستوجس عند أبناء جنسه، والحابس لعقله المعتقل بحبسه، والماجّ لسائغ شراب العرفان لتشبع نفسه وقلبه، والمعير بالنهاهة، وهو باقل لبديع الزمان وقِسّه، والمسوّد بياض صحيفته [من السوء بك..] وادعيت أنك متمثل قول النبي ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده... »[1] الحديث.

حيث قلت في جواب رسالة أرسلها بعض أولياء الله تعالى فيما أرى ولا أزكي على الله أحدًا، وينهاك عن الوقوع فيما يوقعك في هوى الهوى، وهاويته أيها الطائر

---

(١) رواه مسلم (١/ ٦٩).

بجناحيه المقصوص بجناحه إذ هو الخيال الذي قص فوقع بعد ما ارتفع إلى أقصى غاية هواه، وحقق قول القائل:

ما طار طير وارتفع   إلا كما طار وقع

وأمرك بالتسليم، وقال لك: إن التسليم أسلم، فكتبت إليه ما صورته:

الحمد لله رب العالمين، العبد إبراهيم البقاعي يدَّعي أنه ممتثلٌ إلى آخره......

ولم تردَّ السلام الذي قد افترضه الله تعالى عليك، وهو أول مُنكَرٍ يُقام به الحجة عليك في تكذيب دعواك التي ادَّعيت، ونظرنا في صدقها، فإذا الحجة عليك قائمة، والبينة بنقيض ما ادَّعيت شاهدة، وهو أنَّا وجدنا المنكر قائمًا بك، ولم تغيره عائدًا عليك، ولم تحل عنه متحدًا بك، ولم تبن منه ، فلو كان الأمر كما تزعم لغيرت المنكر القائم بك، البادي عليك البائد لك، الكائن فيك، المشاهد منك، وهو رؤيتك لنفسك بعين الكمال والتعظيم، المقتضية للكبر والعجب، ورؤيتك من سواك بعين النقص والازدراء ، وذلك جماع الشر ورأس المنكر وأم الفتن، وملاك البلايا خصوصًا المقت والقصم.

أما المقت فاستصغار الخلق الصغير والكبير، وأما القصم فلمنازعة الرب العظيم الكبير، ومما يدل على ذلك وقوعك فيه، رميك الأحياء والأموات بالفسق والكفر والخروج عن ربقة الدين والإسلام من غير دليل [......] ولا برهان تقوم به حجة على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى، حتى إنك لم تدع أحدًا من أهل هذا الزمان حتى نسبته إلى نقيضه ورميته بفاحشة تخرجه عن أي كمال من غير تأمل في نظر ولا وقوف على صحة خبر، ولا عثور على عين ولا أثر حتى استحللت أكل لحومهم،

وحدثت عنهم ما لهم بغير فهم، وأحدثت في الرواية عنهم مالم يحدثوه، وفهمت من كلام أولياء الله خلاف ما عنوه لمّا أتيت البيوت من ظهورها، وشربت من الغواية لمّا عرض عليك في أقداح كلماتهم لبن المعرفة كاسات خمورها، فظننت بهم السوء وكنت أنت السيئ المسيء، وغويت في طرق الهداية وإنما أنت الغوي الغبي، وزكيت نفسك باتباع الهدى فكنت الهاذي، ورأيت في عدوك غير قدم الصدق، فكنت أيها العدو العادي، وسببتهم وسببت كرائم أعراضهمو وتسببت بإقبالك على الإدبار لإعراضهم، وسلقتهم بألسنة حِداد، فحدّوك بالقطع وقلوك، وسليت نفسك منهم وعنهم فسلوك عقابًا لفحش القول وسلوك، وظننت أنك الفرد في زمانك، والواحد في أقرانك، والكثير بنفسك، والقريب من حَيّك، والمميز بين أبناء جنسك، وأنك الفقيه علمًا، والرئيس حكمًا، والرشيد حِلمًا، والزكي روحًا وجسمًا، وأنك المعني إنسانًا ، والفصيح لسانًا، والثابت جنانًا ، والمِنْطِيقُ بيانًا، والمفسر قرآنًا، والجامع لكواكب الحروف السبعة قرانًا، وأنك الواقع نجمًا، والمحرق بناره رجمًا، والسديد الوافر رأيًا وسهمًا، وأنك القائم الأجنى والبالغ الأمنا والرفيع الأسنى، والبعيد الأدنى، واللاحن في إعرابه المعرب لحنًا، وأن من سِواك، وادعى أنه ساواك، وأعرض عن دعوتك وما واساك، لشرذمة قليلون، وإنهم لك لغائظون ،لا يدرون علمًا ولا معرفة، ولا يفرقون بين نكرة ومعرفة بل إنما هم في غي من الجهالة، وغي من الضلالة، ولو أنصفوا أنفسهم لرجعوا إليك وعولوا في كل الأمور عليك، وما قاطعوك.

هكذا تبينًا من كلامك، وتحققنا من أضغاث أحلامك ؛ ولذلك نفرت منك القلوب ، وفرّت من صحبتك أيها المنتكس المقلوب، وكفاك بهذا القدر شهادة عليك، ووضعك صفرًا خاليًا مما في يديك ، حتى إنك لما تقرر عندك ذلك، ولم تجدهم هنالك

ركبت عليهم ظهر الحنق لما ركبك شيطانك، وادعيت في تعصبهم لأولياء الله ظهور الحمق، ورميتهم بالإلحاد، وليس لك حجة تحجهم بها في يوم الدنيا ولا في يوم الدين، وكأنك غير مكترث بذلك ، حتى جعلت لسانك وقفًا على ذلك كله، لا تزال عاكفًا عليه في بيت من بيوت الله تعالى ،حتى كأنما هو لك ذكر، وقرآن وكما علمت أن الإصرار على الصغيرة كبيرة ، فما ظنك بالكبيرة؟ فما بالك بالكبائر؟ هذا مع تكرار هذه البلايا منك تكرارًا لا نستطيع حصره ولا إحصاءه ، على أن فيهم من آتاه الله علمًا وأعطاه حكمًا، ووهبه فضلًا ووفّى نصيبه عقلًا، وزكّاه خلقًا، وسوّاه في قالب الكمال خلقًا ووفقه للاتباع هَديًا، وأوقفه موقفه فالعبودية له حمدًا وشكرًا ، مع إنك متوج بالبدعة ولابس ثوب البدعة ، وساكن سكن البدعة الحرام ، وهو أنك سكنت على سطح المسجد وهو على اعتقادك مسجد ، وأنزلت فيه الجواري فربما حاضت الواحدة منهن وهو الذي يغلب على الظن ، والغالب المتيقن إلقاؤهن خرق الحيض في سطح المسجد الذي جعلته محلًا للأوز والدجاج ، وهذا كله منكر لا يرضاه الله ولا رسوله فأين ما ادعيت يا هذا من امتثال القول ؟

ها قد ظهر صدق مدعاك وبانت بينات دعوتك ، وقامت بينة دعواك ، نسأل الله سبحانه أن يستر فضائحنا يوم العرض عليه إنه هو الكريم الستّار الحليم الغفار.

ثم إنك يا هذا أدخلت في الدين القيم ما ليس منه فخرجت بالتوراة والإنجيل على زعمك ، فإنَّا لا ندري إن كان ذلك من التوراة والإنجيل أو من غيرهما لا من طريق قطعي ولا ظني ، صحيح ولا ضعيف ، وخلطت بذلك بيان القرآن على زعمك أنه بيانه لتستدل به على صحة الفرقان وصدقه وهو عدتنا لكل محارب وعمدتنا في جميع المآرب، وغنيتنا عن كل المقاصد والمطالب ، ثم إن ما استجرأ به عليك الشيطان ،

وحلَّ منك بسببه محل السلطان ، ثم بيَّن ذلـك لـك وحسَّنه في نظـرك حتـى اسـتهواك واستغواك إلى أن وضعت فيه شيئًا ذكرت أنه من صحف بعض أنبيـاء بنـي إسرائيـل ، وأراه ليس كذلك فإنه مخالف لشرعنا قطعًا ، ثـم إنـك نقلـت فيـه عـن بعـض اليهـود وتأويلهم النص الباطل وأنت لا ترضى بتأويل العلماء كلام العارفين الموحدين، وعـلى بيان ذلك أيضًا، ولقد أريته لجماعة مسطورًا بخطك في مصنفك يشهدون بـه أن غـيرت وبدلت، ولما عُيِّن ذلك لك أبيت إلا مخاصمة الناصح لك، وما كفـاك هـذا القـدر مـن الغلط حتى ادعيت في نقلك لذلك من التوراة والإنجيل المظنونين لك أنـك عـلى بيـان مـن الحـق ، وصراط مـن الهـدى، وأن الاسـتدلال عليهم ذلـك أقـوى وأقطـع مـن الاستدلال عليهم بالقرآن، والقرآن هو الحجة البالغة، والآية الغالبة، والنعمة الـسابقة، والرحمة العامة الواسعة، والحقيقة الشاملة الجامعـة، وهـو الفرقـان المبـين والهـادي إلى الصراط المستقيم ، كيف والحق يقول: ﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ﴾؟

أم كيف وقد وصفه سبحانه بقوله: ﴿ قَيِّمًا﴾ [الكهف:٢] والقَيِّم هـو القـائم بنفسه المقوم لغيره و يسنده قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣] ، وإذا كان كذلك ، فكيف يكون تمامـه في قطع حجة الكتابي بكتاب آخر غيره فـما يحتـاج قيومتـه ولإبلاغـه ولإكمالـه وإتمامـه بنفسه، ونعوذ بالله من توهم ذلك أو شيء من فـضلاً عـن اعتقـاده، كيـف وشرعـه ﷺ ناسخ لجميع شرائع من قبله! وهو خاتم النبيين صلى الله عليـه وعـلى آلـه ، ولـيس لنـا حاجة في قطع حجة اليهودي والنصراني في مقام المجادلة؛ فإنه ليس عنـدنا إلا الـسيف إذا لم يسمع مما جاء به أشرف الرسل صلوات الله عليه وسـلامه، فتـول الله مـا جمعـت، وشتت بين ما ألَّفت، وأراح المسلمين من شَرِك بمحمد وآله، أمين.

يا هذا هل كان الناس في افتقار إلى ما أوردت من ذلك في تصنيفك في زمن الصحابة أو التابعين أو في زمن الأئمة المهتدين من العلماء المجتهدين، أو في سائر القرون والأعصار أو في جميع البوادي والأمصار؟

وأي حربي أسلم لكتابك؟

وأي نفع تم أو ظهر ثمَّ بذهابك فيه وإيابك؟

والله ما هذا إلا افتراء وإنه من فراس رأسك، أتظن أن تبلغ بذلك السيادة في الدنيا والفوز بها والسيادة ؟ أو أن تصير عند أهلها من أهل الدين ؟ أو تحسب فيما بينهم من المتقين؟

كلا، والله إن الناس لفي غنية عنك كلك، والله لو لم تكن لما ضرَّ عدمك أحدًا ولا افتقر وجود إلى وجودك أبدًا.

والعجب كل العجب أن تستدل لذلك بما روي في مسألة الرَّجم عن النبي ﷺ تسليمًا ، لم تقصد الاستدلال عليهم بدون ما أنزل الله عليه لبدًا، وإنما أراد ﷺ تكذيبهم في إنكارهم آية الرجم من كتابه امتثالاً لأمر ربه -جلَّ وعلا- وعملًا بقوله سبحانه وتعالى، حيث أراد الله تعالى بذلك إظهار المعجزة له ﷺ ، والكرامة من وجوه:

منها: بيان صدق دعواه في كل شيء، لصدق المكاشفة الشاهدة بصدق الوحي فيثبت المؤمن ويقوى قلبه ويفرح بإيمانه، ويتزلزل المنافق ويخزى الكافر ويضيق صدره ويدوم في أحزانه لا الاستدلال على الحكم من كتابهم فافهم.

وتمَّ حينئذٍ القول بأنه لو كان ذلك أولى وإقامة الحجة عليهم من كتابهم أتم لكان أولى الناس بذلك النبي ﷺ وأصحابه، ومن خلفهم واقتفى أثرهم ، ولم يقل به

أحد من السلف -رضي الله عنهم أجمعين- ويلزمك بما تقول أن التوراة والإنجيل أتم نفعًا من القرآن في بيان أحكام الكتابيين وإقامة الحجة عليهم وهذا لا يقوله إلا من أطفأ الله نور سريرته، وطمس عين بصيرته ، وهو من المنكر العظيم الذي لا يرضاه أحد من المسلمين، وخلاف العقل والنقل وما انعقد عليه إجماع الأمة خاصة وعامة فنسأل الله التمام بالإيمان التام، والموت على كلمة الإسلام بمحمد وآله .. آمين.

ولما شاع أمرك بين الناس بذلك وشنع عليك بالقول وسد عنك فيه باب القبول، وقصد إخماد تلك الأنفاس الكريهة منك بيانًا من الله لك لعلك ترعوي وراء الحق والصواب ، فإن أولي الألباب المتفكرين في خلق السماوات والأرض يَرون الوجود مرآة لكلام الله تعالى وعظة لهم وإنذارًا ورسائل من ربهم الأعلى إليهم فيعتبرونه ويعتبرون به في أنفسهم فتكون لهم بذلك، وسائل إلى ربهم الجليل كما قال القائل:

تأمل سطور الكائنات فإنها ... من الملأ الأعلى إليك رسائل

فيكونون حكماء عالمين أمناء عاملين، ويكون ذلك سبب التوفيق والهداية لهم من ربهم عز وجل، ويشهدون به حجة على الغافلين الذين لا يعلمون أنه لا إله إلا الله، المنكرين للتوحيد الشهودي، ولا يستغفرون لذلك الذنب الوجودي، وإن أردت تحقيق ما تقول فعليك بكتابنا الموسوم بـ «الرسالة في توحيد الجلالة» تحقق معنى العلم بأنه لا إله إلا الله ومعنى الاستغفار للذنب تحقيقًا علميًا ذوقيًا.

وتطرب لقول القائل:

إذا قلت قد أهديت لي جلل البلوى ... تقولين لولا الهجر لم يطب الحب

وإن قلت كربي دائم قلت إنما يعد حُبًّا من يدوم له الكرب
وإن قلت ما أذنبت قلت مجيبة وجود ذنب لا يقاس به ذنب

ولما أبان الله لك ذلك على ألسنة الجمع لم يكن عندك من النور الإلهي ما تشهد به صدور ذلك عن الحق عناية بك أو حجة عليك، وإن ذلك إنما هو بحكمة أرادها الله بك إما خيرًا لك، وإما فتنة فقلبت عليك فتستعيذ بالله من شر نفسك، وتنظر فيما أنت فيه، وما أنت عليه وتستغفر لذنبك وتتوب إلى الله مما جنيته وتتوب عما اقترفته بل رحت ترقص في ظلامك، وتسمع تغريد حَمامك من زفير حِمامك، وعاندت الخلق أجمعين ولا شك في أن «يد الله مع الجماعة»(١)، والأسلم التسليم لأهل الطاعة، والعجز عند ذوي الاستطاعة، وادعيت أنك أعلم بالتورية من عبد الله بن سلام، هذا من أعظم الجهل الذي يستعاذ بالله منه فتعوَّذ بالله من ذلك ومن شرِّه، ثم إنك تصرفت في بيان القرآن تصرفًا غير مرضٍ، فطلعت بكلامك في تبيانه كموجك عرضي ،وأضفت إليه من كلام بعض الأولياء ما لم تفهمه، ولا تحسن قراءته، وبيننا وبينك إن كذبت دعوانا أن تبرز تصنيفك الذي هو إن شاء الله سبب تنصيفك إن لم ترعوي إلى تطهيرك وتنظيفك في مجلس من المجالس بمشهد من المشاهد الجامعة، وتُسأل المناظرة فيه والمناضلة فاثقب الفهم، وسدد الرأي في أغراض كلماته التي لا طائل تحت عروضها حتى يتبين لك أن ثمَّ لله رجالاً آتاهم العلم الذي لا ينقضه نقض ناقص، ولا يعارض عارضة بيانه معارض خصوصًا العارض لسقي عهد ابن الفارض وهو اسم لكتاب أنا واضعه إن شاء الله في بيان أبيات يشكل بيان معانيها على أمثالك من تائية الشيخ -نفع الله بهما- آمين.. آمين، لا أرضى بواحدة حتى أضيف إليها ألف أمينًا، وحتى ترى ما

(١) رواه الترمذي (٢١٦٧).

يقطر بجهة قلبك من أديم خدك ويقطع أحشاء جسدك ويخرجك بعد ما يخرجك إلى افتقار العجز من جدّك ،ويظهر لك أن الهزل الهزيل أجد من جدك وينسيك لبن أمك وبيت جدك، هذا وأنت تدعي أنك فُقتَ به مصنف القاضي ناصرالدين البيضاوي، وأنت لو حاسبت نفسك بالحق، ووزنت عقلك بميزان العدل علمت أنك لم تحسن قراءته تمامًا.

ويا ليت شعري متى اكتسبت هذا العلم! قراءتك على ابن بهادر بالشام معروفة ومدة ترددك إلى قاضي القضاة شهاب الدين ابن حجر العسقلاني لقراءة بعض كتب الحديث رواية عنه معروفة، واختلافك إلى مجلس قاضي القضاة شيخ الإسلام شمس الدين القاياتي(١) معلوم ولم يعلم لك كثير اشتغال، ولا ظهر من ذكي فهمك في غير الشر نار اشتعال، ولا اشتهر عنك في تلك الحلبة كثير فضل ، ولا قام لك بين أولئك

(١) محمد بن علي بن محمد بن يعقوب بن محمد القاياتي قاضي القضاةَ شيخ الإسلام شمس الدين الشافعي، علامة الديار المصرية والمرجع إليه فيها في غالب العلوم النقلية والعقلية. ولد في حدود سنة ثمانين وسبعمائة، وقيل سنة خمس وثمانين. وسمع على العراقي، والبلقيني، والأنباسي، والتقي الدجوي، والبدر الطنبدي. وأجاز له ابن الملقن. وأخذ الفقه عن البلقيني، والأنباسي. ولازم الشيخ همام الدين الخوارزمي، وأخذ عنه الأصلين، والنحو والصرف، وغالب الكشاف. وأخذ النحو أيضاً عن البدر الطنبدي، والفرائض عن الشمس العراقي. ولازم العز بن جماعة، وغير من ذكر من شيوخ عصره. ولم يزل يخدم العلوم إلى أن صار إمام عصره فيها، والمقدم على جميع أقرانه. وشرع في شرح المنهاج، ونكت على المهمات. وولي مشيخة سعيد السعدا، ومشيخة البيبرسية، والصلاحية المجاورة للشافعي، وتدريس الشافعية بالأشرفية أول ما فتحت وبالشيخونية، وتدريس الحديث بالبرقوقية، وقضاء القضاة بالديار المصرية. مات يوم الإثنين ثامن عشر المحرم سنة خمسين وثمانمائة. انظر: نظم العقيان في أعيان الأعيان (١ / ٥٢).

الأقران عظيم ذكر، فلم نر لك كبير أمر، ولا قليل خطر أمرت به عن أقرانك، ولئن رأيت نفسك عليهم مما ادعيت تصنيفه من التفسير، فلقد كان الأحق بك والأولى أن تطمس على الرائي والمرئي، وهبك أنه غاية في البيان، نهاية في البنيان ،هل كان إلا قطرة من بيان المفسرين أو نهلة من بحر العلماء الراسخين قد انتهل أمثالها غيرك ، وتطلع من مواردها أمثالك.

فإن قلت ما تدعيه لكثير من أخصَّائك أن الله قد استأثرك بعلم من لدنه.

قلنا: لذلك علامات ظاهرة وباطنة ، فمن علاماته حسن الخلق وكمال الأدب مع الحق والخلق ورعاية الأوقات وحفظ الأنفاس ومراقبة اللحظات ووزن الخطرات بالصدق والإخلاص في جميع الأعمال والأحوال مع ترك العادات وملازمة العبادات ومحافظة الصلوات، وآداب الحضرات في جميع الحالات؛ إذ لا يكون هذا العلم إلا للكمَّل العارفين من أولياء الله الوارثين قدم الصدق في اتباع هدي رسول الله ﷺ، فمن لا ولاية له لا حظ له من هذا العلم، ونحن قد أبنَّا لك فيما تقدم ارتكابك لكثير من المنكر الذي أنت مصر على فعله إلى الآن ،وسنبين لك زيادة على ذلك أيضًا ، فإني اعتذرت عن ذلك بعذر، وأبيت إلا أن تدّعي الولاية

قلنا لك: ما الولي، وما علامته، ومتى يتأهل الولي لتلقي العلم فيؤتاه ؟

وما معنى الولاية ؟ وما معنى كونه لدنِّيًّا؟

وكيف يكون حال الولي عند إتيانه ؟

وهل يكون فيه ذا كشف تام أو يؤتاه بغتة؟ وما الفرق بينهما أو الجمع؟

وهل وقت تلقيه يكون صاحب مقام أو حال أو وقتًا كذا ووقتًا كذا أو يمكن

أن يكون صاحب مقام وحال؟

وما حقيقة المقام(١) والحال(٢) وما الفرق بينهما؟ وهل المقام يكون حالاً أبدًا

---

(١) والمقام: ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب؛ مما يتوصَّل إليه بنوع تصُّرفَ، ويتحقق به بضرب تطلُّب، ومقاساة تكلف.

فمقام كل أحد: موضع إقامته عند ذلك، وما هو مشتغل بالرياضة له.

وشرطه: أن لا يرتقي من مقام إلى مقام آخر، ما لَم يستوف أحكام ذلك المقام، فإن من لا قناعة له لا تصح له التوكل ومن لا توكل له لا يصح له التسليم، وكذلك من لا توبة له لا تصح له الإنابة، ومن لا ورع له لا يصح له الزهد.

والمقام: هو الإقامة، كالمُدخل بمعنى الإدخال، والمخرج بمعنى الإخراج.

ولا يصحُّ لأحد منازلة مقام إلا بشهود إقامة الله تعالى إياه بذلك المقام، ليصحَّ بناء أمره على قاعدة صحيحة.

سمعت الأستاذ أبا عليٍّ الدَّقاق- رحمه الله تعالى- يقول: لما دخل الواسطي نيسابور، سأل أصحاب أبي عثمان: بماذا كان يأمركم شيخكم؟ فقالوا: كان يأمرنا بالتزام الطاعات، ورؤية التقصير فيها.

فقال: أمركم بالمجوسيَّة المحضة، هلا أمركم بالغيْبة عنها، برؤية منشئها ومجريها؟ وإنما أراد الواسطي بهذا: صيانتهم عن محل الإعجاب.

لا تعريجًا في أوطان التقصير، أو تجويزًا للإخلال بأدب من الآداب. الرسالة القشيرية (ص٣١).

(٢) والحال عند القوم: معنى يَرِد على القلب، من غير تعمد منهم، ولا اجتلاب، ولا اكتساب لهم، من: طرب، أو حزن، أو بسط، أو قبض، أو شوق، أو انزعاج أو هبة، أو احتياج.

فالأحوال: مواهب، والمقامات مكاسب.

والأحوال تأتي من عين الجواد، والمقامات تحصل ببذل المجهود.

وصاحب المقام ممكن في مقامه، وصاحب الحال مُترقٍّ عن حاله.

=

والحال مقامًا أو لا؟

=

وسئل ذو النون المصري، عن العارف، فقال: كان ها هنا، فذهب.

وقال بعض المشايخ: الأحوال كالبروق: فإن بقي فحديث نفس.

وقالوا: الأحوال كأسمها، يعني أنها: كما تحُلّ بالقلب نزول في الوقت.

وأشار قوم إلى بقاء الأحوال، ودوامها، وقالوا: إنها إذا لم تدم ولم تتوَال فهي لوائح وبوادر، ولم يصل صاحبها بعد إلى الأحوال، فإذا دامت تلك الصفة فعند ذلك تسمَّى: حالاً.

وهذا أبو عثمان الحيري يقول: منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهْتُه.

أشار إلى دوام الرِّضا، والرضا من جملة الأحوال.

فالواجب في هذا: أن يقال: إن من أشار إلى بقاء الأحوال فصحيح ما قال، فقد يصير المعنى شِرْباً لأحد فيربِّي فيه.

ولك لصاحب هذه الحال أحوال: هي طوارق لا تدوم فوق أحواله التي صارت شرباً له؛ فإذا دامت هذه الطوارق له، كما دامت الأحوال المتقدمة، ارتقى إلى أحوال أخر، فوق هذه وألطف من هذه، فأبداً يكون في الترقي.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق- رحمه الله- يقول في معنى قول ﷺ: «إنه ليغَان على قلبي حتى أستغفر الله تعالى في اليوم سبعين مرة»: أنه كان ﷺ أبداً في الترقي من أحواله فإذا ارتقى من حالة إلى حالة أعلى مما كان فيها، فربما حصل له ملاحظة إلى ما ارتقى عنها، فكان يعدُّها غيْناً بالإضافة إلى ما حصل فيها، فأبداً كانت أحواله في التزايد.

ومقدورات الحق سبحانه، من الألطاف: لا نهاية لها؛ فإذا كان حق الحق تعالى، العز، وكان الوصول إليه بالتحقيق محالاً، فالعبد أبداً في ارتقاء أحواله.

فلا معنى يوصل إليه، إلا وفي مقدوره سبحانه ما هو فوقه، يقدر أن يوصله إليه. وعلى هذا يحمل قولهم: «حسنات الأبرار سيئات المقربين» الرسالة (ص٣١).

وهل يستديم ذلك التلقي للولي أو يكون تارة وتارةً؟

وإذا أوتيه واستقر هل يمكن أن يعارضه فيه شك أو لا؟ فهل هو من قبيل الإلهام أو الإلهام نوع منه أو هو هو أو بينهما مغايرة ؟

وإذا كان غيره فما الفرق؟وما سبب هذا وهذا أوهما من قبيل الوهب المحض الذي لا يعلم ما سببه ؟أو أحدهما وهبي والآخر كسبي؟

وأيهما الوهبي؟ وماذا يكون حال الولي عقب التلقي وما يعقب وجوده عنده؟

ومن أي موطن يشهد تنزله في ذاته؟ وهل هذا العلم له طريق واحدة أو طرق متعددة؟ فأجب إن كنت من أهله، وإلا فارجع إلى ذل العجز والإفلاس، وإياك أن تتعثر بأفكارك الواهية في ميدان علم السابقين تتوهمه وتغتر بأوهامك الكاذبة فيما لا تعلم فتفتضح أجلَّ الفضيحة؛ فإن هذا علم لا يحصل إلا بالوجدان، وأما الفكر فتقاصر عن ذلك بنفسه، بل العقل الذي أجل وأرفع وأشرف وأوسع عجز عن تحصيله أيضًا.

ولنرجع فنقول: نعم لك شهرة السرة في السر وفي مراعاة معادات الجيران والأمر بالمعروف المنكر، كما سمعنا أنك نزلت رجلاً يتحدث مع امرأة تحت القبو الذي بجانب المسجد الذي احتكرته، ومنعت غيرك منه ونسبته إلى أمر فاحش، وفحشت في القول معه وسببته وزأرت عليه وربما هممت أن تسطو عليه بالضرب فردَّ عليك أقبح الرد فجازاك أشنع الجزاء بأن أنها زوجته بصداق شرعي، وكانت فضيحتك أشد من فضيحته لو كان كما تزعم.

وكما أخبرنا غير واحد أنك تأمر عبدك أو غلامك أو أحد تلاميذك أن يطلع إلى

بيوت الناس ويهجم عليهم فيها من غير اكتراث بأن يكون لهم حريم ثم أولاد، تريد أن تكشف بذلك سوأتهم فتفضحهم بين الناس إن كانوا على غير توفيق وهم قد راعوا في ذلك الستر وتستروا بجميل الستر، وإنك فعلت ذلك مع جماعة منهم ابن الظريف(١) حتى استوى لك معه ما استوى من قوله لك: إن إنكارك لم تقصد به على قدم الصدق ،ولو كان كذلك لامتنعت أنت من سماع آلة اللهو والطرب ،وقد كنت تسمعها عند بعض الأكابر ولا تبدي في نكرها ما تدعي أنك رويته كابرًا عن كابر، وكل ذلك منكر مخالف للشرع لا يرضاه الله ولا رسوله ، فأين أنت من امتثال القول بتغيير المنكر؟

ولقد أخبرني غير واحد عن موجود عدل ثقة أنه كان إذا جيء بحديثك للشيخ عبد السلام البغدادي رحمه الله تعالى يقول: وأحمق به وهاك به شاهدًا عليك، فليس لك استحضار لعلم من العلوم، ولا تحرير قاعدة في فن من الفنون، وكل مصنفاتك هذه تدل على ذلك، ولا تدخل إلا على جاهل أو مفتون بك؛ فما هذه قلة الأدب و الجرأة على العلماء وتعاليك عليهم بالكذب المحض، والباطل الحق حسبما رأينا من تفسيرك في تفسيرك.

ومن كلامك ما حاصله أن الناس يحسدونك إذ لو اجتمعوا على أن يأتوا بمثل كتابك «المناسبات» لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا ، أطلقت الحسد عليهم و«لا حسد إلا في اثنتين»(٢)، وهل يظن المسلم بالمسلم شرًا فيظهره أو يضمره «والمسلم من

---

(١) ابن الظريف: بضم تصغير ظريف، أحمد ابن علي بن إسماعيل بن إبرهيم، أبو البركات بن الظريف المقرئ. انظر: الضوء اللامع (٥/ ٣٧٥).

(٢) رواه البخاري (١/ ٣٩).

سلم المسلمون من لسانه ويده »[1] ، بل ينبغي أن يتأوّل لهم ويحملهم على الخير، وأفعالهم على السداد، ويظن بهم الجميل، ويخالقهم بخلق حسن، ويحسن السياسة معهم، ويحملهم ويكف عنهم ويصفح، ويشتغل بعيوب نفسه عن غيره، وينظر في أبواب السوء المفتوحة عليه من قبل نفسه؛ فيقيم معاذير إخوانه المسلمين، ويستغفر لهم بظاهر الغيب ولا يؤاخذهم، ولا يجد في نفسه عليهم، ولست مخصصًا لك بهذه النصيحة ولا غيرها من النصائح بل أول ما أعاتب بها نفسي، وأخاطب بها عامة المسلمين أيضًا، وإن لم أكن في نفسي أهلاً لذلك، كما أنا منطوٍ عليه من النقص والنجس والعيب، ولكنا نتعاون على البر والتقوى كما أمرنا الله الواسع، ورحمته الواسعة، والله غفور رحيم .

هذا الجنيد -قدس الله سره العزيز- يقول: إن استطعت إلا تكون خصمًا لأحد في الدنيا ولا في الآخرة فافعل ،وهذا ابن عمر -رضي الله عنهما- يقول : لا تظنن بكلمة خرجت من في أخيك شرًا وأنت تجد لها محملًا في الخير.

وقد قال علماء الحنفية ﷺ: إذا احتمل كلام المرء المسلم وجوهًا من الكفر ووجهًا واحدًا للحق ردَّ إليه، فأين تغيير المنكر من نفسك! وأنت في يقين من أن الله لا يطالبك بما تقع به في حق الخلق؟ فاستبصر لنفسك وغيّر ما أنت عليه من المنكر القائم بك .

وهذا ابن الحاج -رحمه الله تعالى ورضي عنه- يقول في كتابه «المدخل»[2] ما حاصله: اقْتِعَاطُ الْعَمَائِمِ هُوَ التَّعْمِيمُ دُونَ حَنَكٍ ، وَهُوَ بِدْعَةٌ مُنْكَرَةٌ قَدْ شَاعَتْ فِي بِلَادِ

---

(١) رواه البخاري (١/ ١٣)، (١/ ٦٥).

(٢) في المدخل (١/ ٢٠٤) بتحقيقنا.

الْإِسْلَامِ ، وَنَظَرَ مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ اللهُ يَوْمًا إِلَى رَجُلٍ قَدْ اعْتَمَّ وَلَمْ يَحْتَنِكْ فَقَالَ: اقْتِعَاطٌ كَاقْتِعَاطِ الشَّيْطَانِ ذَلِكَ عِمَامَةُ الشَّيَاطِينِ وَعَمَائِمُ قَوْمِ لُوطٍ وَأَصْحَابِ الْمُؤْتَفِكَاتِ.

وعمامتك هذه وما شاكلها فإنها شبيهة بعمائم قوم لوط، فانظر إلى تشنيع هذا الإمام على هذه البدعة وأنت قد رضيتها تاجًا على رأسك، وتقوم في مسألة خالفك فيها جميع أهل النقل في زمانك وتنكر دائم المعروف وتقول هو المنكر فأنت يا هذا في مخالفتك دائمًا على الحق، واجتماع الناس في اتفاقهم أبدًا على الباطل ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥] ثم أطرد ذلك في جميع لباسك من الجبب وطول الكم والذيل ودقيق عذبة العمامة، وتضليعها إلى غير ذلك مما يطول تعدده ، فأين أنت من تغيير المنكر؟

وقد بلغنا من بعض أصحابك أنك تزجر من يدخل المسجد الذي اتخذته لك سكنًا، وأنك لا تملك ذلك المكان ترى منه ما يخالف الشرع مع إحاطتك باختلاف المذاهب علمًا، وعدم انتهائه إذا نهي برفق وبيان، وها أنت قد احتكرت هذا المسجد حتى لا يدخله إلا من كانت له إليك حاجة، ولا يصلي فيه أحد من أهل خطتك خوفًا من أذاك وشرِّك، كأنك تقول: أنا ما أمنع إلا لكيلا يتطرقوا إليه بالأذى حيث هو فاشٍ في غالب المساجد.

قلت: في ذلك شرٌّ كبير منه، ظن السوء بعامة المسلمين إجمالاً، ثم بكل فرد أراد العبور إليه تفصيلاً، والأصل عدم تطرق الأذى وإن كان محتملاً على الظن الإثم، ومنع المصلين الذاكرين لاحتمال تطرق أذى الساهين الغافلين من أشد الظلم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ [البقرة :١١٤]

بالمنع فمن باب الإفهام والإشارة جئت نقيضه بإطلاق السعي في الخراب، فإن المنع من أسبابه : ﴿أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ﴾ [البقرة: ١١٤] فإن الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون الجزاء من جنس العمل، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦]، وفي هذا منع، فمنع إلى أنه ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وهذا القرآن وإن نزل في قوم مخصوصين، ولكن عموم اللفظ يشير إلى كل من قام به المنع من الذكر، ويتفاوت قوته وضعفه بحسب المقاصد والله أعلم.

وهذا الذي يفعله في هذا الموطن عبارة عن مداواة العرض اليسير الذي لا يعبأ به، وترك الأخطر المؤذن بالتلف، وهو غلط كبير ويؤذن بالمقت وتضييع الوقت وبالجملة: فهذا كله منكر وبدعة شر، فأين من يغير ويتحول عن المستحيل المتغير؟

ثم إن من المنكر إنكارك على أولياء الله تعالى، ولعنهم وتكفيرهم وسبهم والطعن في عقائدهم، وظن السوء بهم بالجهل الصراح، وهم قد قدّموا ما قدّموا لا ندري ما هم فيه، ولا ما خرجوا من الدنيا عليه، ولا يجوز لعن الكافر بعينه لغيبتنا عن العلم بمآل أمره، ومرد عاقبته إلا أن يخصص باللعن في النص، فكيف بعين المسلم بذلك؟ فكيف الولي؟ على أن مصدر ذلك إنما هو مجرد غرض قائم في النفس لا فائدة معه أصلًا، وإلا فلو كان مصدره قصد الإخلاص لم يكن إنكارك على هذه الكيفية بل كان جاريًا على القانون الشرعي المحمدي كما هو معلوم عند أهل الصدق، ولذلك لا يتم لأحدكم قصده إذا قام في رد منكر أو إدحاض كلمة باطل في حكم ظاهر، فضلًا عن باطن لأنه لا يصحبه في ذلك حق ولا صدق، بل هو فيه مغرور بتزيين الشيطان له

بواسطة النفس الأمَّارة(١).

---

(١)قال الشيخ مجد الدين رحمه الله تعالى: لا يجوز أن يُنكر على القوم ببادي الرأي؛ لعلوِّ مراقبتهم في الفهم والكشف، ولم يبلغنا عن أحدٍ منهم أنه أمَرَ بشيءٍ يهدم الدين، ولا نهى أحدًا عن الوضوء ولا الصلاة، ولا غيرها من فروض الإسلام ومستحبَّاته، إنما يتكلمون بكلامٍ يدقُّ عن الأفهام، وكان يقول: قد يبلغ القوم في المقامات ودرجات العلوم إلى المقامات المجهولة والعلوم المجهولة التي لم يُصرَّح بها كتابٌ ولا سنَّةٌ، ولكن أكابر العلماء العالمين قد يردون ذلك إلى الكتاب والسنَّة بطريقٍ دقيقٍ لحُسن استنباطهم وحسن ظنِّهم بالصالحين، وكان يقول: كما أعطى الله تعالى الكرامات للأولياء التي هي فرع المعجزات، فلا بدع أن يعطيهم من العبادات ما يعجز عن فهمها فحول العلماء.

وكان شيخ الإسلام المخزومي رحمه الله تعالى يقول: لا يجوز لأحدٍ من العلماء الإنكار على الصوفية إلا إن سلك طريقهم، ورأى أفعالهم، وأقوالهم مخالفةً للكتاب والسنَّة، وإما بالإشاعة عنهم، فلا يجوز الإنكار عليهم، ولا سبُّهم، وأطال في ذلك، ثم قال: وبالجملة فأقل ما يحقُّ على المنكر حتى يسوغ له الإنكار على أقوالهم، أو على أفعالهم، أو على أحوالهم أن يعرف سبعين أمرًا، ثم بعد ذلك يسوغ له الإنكار منها غوصه في معرفة معجزات الرسل -عليهم السلام- على اختلاف طبقاتهم، وكرامات الأولياء على اختلاف طبقاتهم، ويؤمن بها ويعتقد أن الأولياء يرثون الأنبياء في جميع معجزاتهم إلا ما استثنى منها.

ومنها: اطِّلاعه على كتب تفسِّر القرآن سلفًا وخلفًا؛ ليعرف أسرار الكتاب والسنَّة، ومنازع الأئمة المجتهدين، ويعرف التفسير والتأويل وشرائطه، ويتبحَّر في معرفة لغات العرب في مجازاتها واستعاداتها حتى يبلغ الغاية.

ومنها: كثرة الاطِّلاع على مقالاتٍ للسلف والخلف في معنى آيات الصفات وأخبارها، ومن أخذ بالظاهر، ومَنْ أوَّل، ومَنْ دليله أرجح من الآخر.

ومنها: تبحُّره في علم الأصوليين، ومعرفة منازع أئمة الكلام.

ومنها: وهو أهمها معرفةُ اصطِّلاح القوم فيما عبَّروا عنه مِنْ التجلِّي الذاتي والصوري، وما هو الذات وذات الذوات، ومعرفة حضرات الأسماء والصفات، والفرق بين الحضرات، والفرق بين =

ومن أراد تحرير ذلك فعليه بمطالعة كتاب «إحياء علوم الدين» لحجة الإسلام الإمام الغزالي ﷺ، وقلَّ من يسلم في مقاصده من مداخل النفس والشيطان من أرباب المراقبة فضلًا عن أهل الغفلة، فما ظنك بأحدهم؟

ولذلك ضعفت كلمتهم وقلّ ناصرهم ودنت على رءوسهم الظلمة البغاة، وإلا فالحق هو الثابت الدائم الذي لا يحوله شيء، قال الله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١].

وقال بعض السلف ﷺ: «الصدق كالسيف ما وضع على شيء إلا قطعه»(١)، فمثلك إذا قام في حق إنما يقوم لحظ أو ليست لك مجاهدة في دفع الخطوط وقطع خواطرها، بل إنما أحدكم غلام نفسه وشهوته وشيطانه المستهوى به.

=

الأحدية والواحدية، ومعرفة الظهور والبطون، والأزل والأبد، وعالم الغيب والكون، والشهادة والشئون، وعالم الماهيَّة والهويَّة، والسُكر والمحبَّة، ومَنْ هو الصَّادق في السُكر حتى يسامح، ومن هو الكاذب حتى يؤاخذ وغير ذلك، فمن لم يعرف مرادهم كيف يحلُّ كلامهم، أو ينكر عليهم بما ليس هو من مرادهم انتهى.

ونقل الإمام القزويني في كتابه «سراج العقول» عن إمام الحرمين: أنه سُئل عن كلام الصوفية، فقال: لو قيل لنا: فقولوا ما يقتضي التكفير من كلامهم مما لا يقتضيه لقلنا هذا طمعٌ في غير مطمعٍ؛ لأن كلامهم بعيدُ المدرك وعين المسلك، يغترف من تيار بحر التوحيد، ومن لم يُحط علمًا بنهايات الحقائق لم يحصل من دلائل التكفير على وثائق.

(١) وقال سيدي عبد القادر الجيلاني: ما وضعت شيء على الصدق إلا قطعه، والله أعلم.

وأما أهل التحقيق فلا يقوم أحدهم إلا بحق وكلمة صدق في حق؛ فإن الحق لا يقوم إلا بالحق؛ فلذلك تقطع خواطرهم وتفعل هممهم فضلًا عن حركات أبدانهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧] فمن قام في الحق بالحق انتصر، ومن قام بباطل خُذل؛ إذ الحق لا يدفع بباطل، والباطل أيضًا لا يزهق بباطل أهون منه، فأولئك في إنكارك على حق وصدق لم ينكر عليك أحد من أولياء الله تعالى، بل كانوا ينتصرون لك، ويقيمون كلمتك، ويقولون هو معذور؛ إذ هو علم لا يتحقق إلا بالكشف وسلوك طريق المعرفة فإنه من علوم المكاشفات، فلقد يعتمد تناوله بالتلقين، وهذا رجل وقف على قدر ما أوتي من العلم عند قدم صدق فله علة ظاهرة، والواجب الذب في ذلك عن حرم الشرع بما يَرُد ضعفاء اليقين والإيمان من الخوض في ذلك خصوصًا أهل الشهوات؛ فإن الغالب عليهم مزلة القدم عند ذوق ذلك من غير تحقيق يرد بهم إلى التمسك بالقول والعمل الشرعي، وربما حصل بذلك انقلاب القلوب وانقياد النفوس واتفاقها لمرادك أو خواطرهم جاذبة القلوب آخذة بأزمتها والحق لا يتحول، ولكنك قائم بهوى نفسك طاغٍ في إنكارك، زائغ ببصرك عن الحق، زالٌ بقدمك عن صراط الاستقامة وطريق الهدى، سالك في طرق الإنكار بنفسك مع ما أنت عليه من الغمة والعمى، فمن الحق بك إنكارك وتغيير منكره بالقصد الصدق والنظر الحق، وسلوك صراط الاعتدال وطريق الاستقامة ووضع ميزان القسط والعدل وتجريد أفعالك وأقوالك وأحوالك وخواطرك بها، وإلا فأين أمتثال القول الذي ادعيت وتغيير المنكر الذي زعمتها؟ قد وَهَتْ دعواك وزهقت أباطيلك، وأظنك لا تحر جوابًا عن ذلك، كيف وهي تنادي عليك هذا جزاء من يدعي ما ليس له ؟

وأما ما عنيت من أن ثَمَّ منكرًا وأنت قائم في تغييره فأين هو من كلام هذا الرجل الصالح والصفي الناصح ؟فإنه لم يعن شيئًا مما ذكرت بلفظ ظاهر، بل إنما قال ما حاصله: بعد السلام عليك إنه قد بلغني من جماعة من العلماء أنك تنكر على بعض الأولياء أو كما قال، وشرع في نصحك فسارعت أنت إلى مرماك الذي أنت شربت عليه وطفرت إلى مغزاك الذي أنت قائم بحظ نفسك وهواك فيه، كما هو شأنك إذ لو لم يكن الأمر كذلك كأن شأنك السكون والطمأنينة، والتكلم على قانون ما أوحي إليك من غير زيادة ولا نقصان ولا زيغ ولا طغيان، كما هو شأن الأتقياء الواقفين عند الحدود فيها كأنك تقول: حصل عندي فهم من قرينة الحال الذي أنا عليه، والواقع الذي اشتغلت به مع بعض أهل الفضل أنه ما أشار إلا لذلك ، ووقع عندي بطريق الحدس والفراسة، أنه متعصب معهم.

قلنا ذلك مبني على الظن، ومثل هذا الظن من بعضه الذي هو إثم لأنك ترى من أنت منازع لهم على الكفر والإلحاد والعناد فهلا تحققت عن قلبه.

والفِراسة لا تكون إلا لأهل الإيمان التام، ومذهبك أن الإيمان يزيد بزيادة الإيمان وينقص بنقصانها، فإذًا الإيمان التام لا يكون إلا للقائم بجميع الأعمال الواجبة الشرعية والسنن المؤكدة مع تجنب جميع المنهيات الصغائر والكبائر الملتبس بالحق أمرًا ونهيًا قلبًا وقالبًا، حتى يكون صاحب فراسة صحيحة ويكون حينئذٍ ناظرًا بنور الله تعالى، وأما من كان حاله مثل حالي، وحالك المظلم الحالك فلا يصلح له التفرس حتى لا بطريق العلم المنقول عن الحكماء المفيد للظن ،الذي ربما يكون إثمًا ولا يقع إلا بمشاهدة الحس لمعاني الصور من شقرة وسمرة وحمرة وبياض وزرقة عين وسواد ، ونحو ذلك من طول وقصر وغلظ ورقة واتساع وضيق إلى غير ذلك فغير الكامل

الإيمان التام النور بعيد من الفراسة الشرعية التي هي عين الظن الصحيح الذي لا يكون قط إثمًا كما قال القائل الألمعي: الذي يظن بك الظن فتحسب أن قد رأى وقد سمعا فظلمة شك الطبيعة، وسرك الجهل، وظُلَمُ العصيان تمنع غير المؤمن من أن يرى ويسمع بإظلامها عين قلبه وسدها أذنًا واعية.

فينبغي لنا يا هذا الوقوف عن مثل دعوى الفِراسة فلسنا لها بأهل، وليتجنب الإنسان كما يشير إليه الكلام النبوي المحمدي: «**من ادعى ما ليس له فليس منا وليتبوأ مقعده من النار**»(١) فاحفظ نفسك باتباع الهدي النبوي، وخلِّ هذا الزيغ والزلل وترهات الأخلاق الشرسة، وريضها بسياسة الشرع المحمدي المتمم لمكارم الأخلاق، فإنني والله حذرت وبك شفوق ولك ناصح ،والله أعلم بما تكنه الضمائر وتنطوي عليه السرائر، وكفى بالله شهيدًا.

ثم إنا نرجع ونقول: سلمنا أنه أشار إلى هذا البعض الذي عنيته والفرد الذي خصصته، فمن أهدى لك أن هذا الواحد المعني خالف أمر رسول الله ﷺ وعصاه وردَّ أقواله وأفعاله ؟ فإن قلت ذلك في كلام حيث يقول(٢):

ولو أنني وحّدْتُ ألحدتُ وانسَلخـ تُ من آيِ جَمعي مشركاً بيَ صنعتي

قلنا: فكيف وصل عندك أن هذا الجزء من القول قوله؟

فإن قلت: لخبر الآحاد.

---

(١) إشارة على حديث «من كذب علي ....» رواه البخاري (١٠٤)، ومسلم (٣).

(٢) في ديوان سيدي ابن الفارض-قدس سره (٧٤٨).

قلنا: لا يفيد إلا الظن، والظن لا يُقطع به في مثل ذلك، هذا بعد تسليم صحة الخبر.

فإن قلت: قد وقع ذلك لمشايخي كابن حجر وغيره من أهل عصره وممن تقدمهم من مشايخهم كالبلقيني والسفاقسي وأبو حيان كما ذكرت في جوابك، وأنا تابع لهم ومقلدٌ.

قلنا: لا يقلد المقلد في تكفير أحدٍ، ولا يقطع به إلا بعد حصول المقتضى القطعي، هذا بعد تسليم صواب ذلك، وتسليم صحة طريقه، على أن في نقلك هذا عنهم تدليس لا يخفى على من نظر كلام شيخ الإسلام في لسان الميزان الذي لا تزال تلهج به في ذلك.

فإن قلت: قد أطبق عليه جماعة كثيرون، حتى بلغ عندي مبلغ التواتر.

قلنا: احتيج في التواتر إلى أخبار قوم لا يمكن تواطئهم على الكذب في زمن هذا القائل، ثم في كل زمنٍ حتى إلى زمانك، ولا يمكنك ذلك قطعًا، فإن هذا الرجل كان بين أئمة العلماء، وحاله مشهور بين المسلمين في حياته، وقد صُلي عليه ودفن في أجل مقابرنا بعد مماته.

ولم يشهر عنه في ذلك الزمن أنه كان قائلًا بالكفر، إذ لو اشتهر بذلك لقُوبل في زمن أولئك العلماء العاملين، ولم يذكر أحد أن ذلك كان يقهر ذوي الجاه معه وأهل العصبية له، كيف وقد كانت كلمة العلماء أهل تقرير الأحكام قائمة ومنصبهم منتصب، وجاههم مرتفع، وأمرهم ماضٍ، وحكمهم قاضٍ، فهذا خلفٌ أمكن وقوفك، وبلغ مبلغ التواتر، فمن أين لك أن مقصده ما فهمت، وأن معناه الذي

أدركت، ومن قال إن العلم الشرعي محصور فيما عندك حتى تكفر من يخالف قاعدته؟

ومن أين يتأت لك هذا الحصر إذا ادعيته، وإذا ثبت، فأنّى لك بذكر جميع قواعده، وفقد النسيان لواحدة منها حتى تجمعها في نفسك عند الرد لما قال، فيكون صحيحًا غير منقوض بشيء، ومن قال: إن الكلام الذي يصح به كلام الشيخ ﷺ جارٍ على خلاف مقتضى الظاهر حتى يكون تأويلًا إذا أنكر، ثم التأويل.

وقلتم: لا يُئول إلا كلام المعصوم، وادعيتم الإجماع فيه مع أنه واقع على كلام كثير من الصحابة والتابعين والأئمة المهتدين، ولا يلزم من كونه على خلاف الظاهر عندك وعند أمثالك ألا يكون على مقتضى الظنية عند آخرين ممن هم أوفر علمًا، وأوفى وأوسط قدمًا وأوسع.

وإن من علم سوابق كلام الأستاذ وجربه على أي قانون من قوانين الاصطلاح علم أن قوله ﷺ ونفع به فيما كتبه:

ولو أنني وحّدْتُ ألحدتُ

ليس هو جار على ما فهمت من معنى الإلحاد بل إنما هو جار على قاعدة الأبيات الثلاثة للإمام الهروي صاحب منازل السائرين التي قد اشتهر عنك الإيمان بها حتى أقرأتها وقررتها بمراجعتك لشرح العالم الرباني العفيف التلمساني ﷺ على المنازل بقدر استعدادك وهي:

مَا وحّدَ الوَاحِدَ مَنْ وَاحِدٍ ... أَو كُلِ مَنْ وَجَدَهُ جَاحِدُ
تَوحِيدُ مَنْ تَنْطِقُ عَنْ نَعْتِهِ ... عَارِيَةٌ أَبَطَلَهَا الوَاحِدُ
تَوحِيدُه إِيّاه تَوحِيدُه ... وَنَعْتُ مَنْ يَنْعَتُهُ لاَ حَدُ

فهذا قد أطلق الإلحاد على نعت الناعت الواحد القيوم والجحود على الموحد له، وآمنت به فما وجه تخصيصك للإنكار في إطلاق لفظ الإلحاد على كلام ولي الله العارف المحقق الأستاذ شرف الدين عمر بن الفارض ـ قدس الله سره – دون غيره، ولئن أنكرت إيمانك بالقوافي الثلاثة أيضًا مع البينة الشاهدة به، فما علينا منك، ولا من إنكارك، فإنها صحيحة المعنى، واضحة الدلالة لا ينكرها إلا قدم قاصرة الاستعداد عن إدراك كمال التوحيد التنزيهي، وأنّى لك بالتوحيد الحقيقي المعتبر عند أهل الله تعالى، والخلوص من الشرك الخفي المعبر عنه بالإلحاد والجحود، في أي مقام ما حسرتاه على مشقةٍ تنالك منه في الدنيا، حتى تلقى الله بقلب سليم من شوائب الأغيار، ويا ليت شعري ما تقول في الشبلي(١) الذي يضرب به المثل في الولاية عند الخاصة، والعامة حيث

---

(١) أبو بكر الشبلي، واسمه دلف بن جحدر، وقيل: أبو جعفر، ويقال اسمه: جعفر بن يونس وهذا مكتوب على قبره.

كذا نسبه حجة الإسلام خراساني الأصل بغدادي المولد والمنشأ، ويقال: مولده يسرُّ مَن رأى باب في مجلس خير النساج، وصحب أبي القاسم الجنيد ومن في عصره من المشايخ.

وكان في بدء أمره حاجبًا للموفق، ثم فتح الله عليه فكان أوحد زمانه علمًا وحالاً وظرفًا وكان في بدء أمره فقيهًا عالمًا على مذهب دار الهجرة، وكتب الحديث الكثير.

عاش سبعًا وثمانين سنة، ومات في ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، ودُفن ببغداد بمقبرة الخيزران وقبره شهير، ولما تاب أتى الموضع الذي كان واليًا عليه، وقال: اجعلوني في حلٍّ، فإني كنت واليًا عليكم.

ومجاهداته في بدايته لا تحد وكان يكتحل بالملح حتى عمشت عيناه؛ لكي يتعوَّد السهر وقال: اطّلع الحق عليَّ.

وقال لي: مَن نام غفل، ومَن غفل حجب، وكان يقول: تسعة في ألف سنة فضيحة.

=

يقول لما سئل عن التوحيد: من عبر عن التوحيد فهو ملحد، ومن أومئ إليه فهو ثنوي،

=

وكان في بدايته يحمل حزمة قضبان، ويدخل سربًا، فإذا غفل أو سها أو أخذه النوم كسر على نفسه قضيبًا، وربما تفنى القضبان قبل أن يأتي الليل فيضرب بيده على الحائط وربما ضرَّ بها ضرب برأسه.

قال أبو بكر البزار: سمعت الشبلي يقول: ما أحوج الناس إلى سكرة، فقلت: يا سيدي: أي سكرة.

فقال: يفنيهم عن ملاحظة أنفسهم وأحوالهم وأفعالهم.

قال خير النساج: كنَّا في المسجد وإذا بالشبلي جاء وهو في سكره فنظر إلينا، ولم يكلمنا وهجم على الجنيد وهو في بيته جالسًا مع زوجه وهي مكشوفة الرأس فهمَّت تغطي رأسها، وتستر.

فقال لها: لا عليك ليس هو هنا فصعق على رأس الجنيد.

قال: ثم ولَّى خارجًا فضرب الجنيد برجله على الأرض وهو يقول: هو ذاك يا أبا بكر هو ذاك وخرَّ مغشيًّا عليه.

قال: ليس للمريد فترة ولا للعارف علاقة، ولا للمحب شكوى، ولا للصادق دعوى ولا للخائف قرار، ولا للمخلوق من الله فرار.

وسُئل عن قوله ﷻ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

فقال: ادعوني بلا غفلة استجب لكم بلا مهلة هذا معناه.

قال أبو محمد الهروي: كنت عند الشبلي في الليلة التي مات فيها فكان طول ليلته ينشد:

كُلُّ بيتٍ أنت ساكنهُ ... غَيرُ محتاجٍ إلى السرجِ

وجهكَ المأمُول حُجتنا ... يوم تأتي الناس بالحججِ

وله شطحات معروفٌ بها، وأحوال لا يأتي عليها الحصر.

قال يومًا في مجلسه: أليس أن الله ﷻ يقول: «أنا جليس مَن ذكرني»، فما الذي استفدتم من مجالسة الحق، وأوصافه كلها عجائب وغرائب ومَن لم يعرف حاله ومقامه يظنه مجنونًا ويظنها شطحات وطوام.

ومن أشار إليه فهو عابد وثن.

وماذا تقول في الجنيد الملقب بسيد الطائفة(١)، حيث أنشد لما سئل عن التوحيد فقال:

وَغَنّى لِي منى قَلْبِي وَغَنّيْتُ كَمَا غَنّى
وَكُنّا حَيْثُ مَا كَانُوا وَكَانُوا حَيْثُ مَا كُنّا

وماذا عسى أن يعتقد في الإمام القشيري، صاحب الرسالة بعد أن نقل ذلك عنهم على جهة البيان والاستشهاد، والتعظيم لمقالاتهم المنبئة عن اعتقادهم، والمبينة لعقائدهم وأحوالهم في المعرفة، وسلوك طرائقها.

وانظر باب التوحيد في الرسالة وحقق النظر فيه(٢)، وفي غيره من الأبواب،

---

(١) انظر: كتابنا «الإمام الجنيد سيد الطائفتين».

(٢) اعلموا، رحمكم الله، أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة في التوحيد، صانوا بها عقائدهم عن البدع ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل، وعرفوا ما هو حق القدم. وتحققوا بما هو نعت الموجود عن العدم.

ولذلك قال سيد هذه الطريقة الجنيد، رحمه الله: " التوحيد إفراد للقدم من الحدث " .

وأحكموا أصول العقائد بواضح الدلائل، ولائح الشواهد.

كما قال أبو محمد الجريري، رحمه الله: " أن لم يقف على علم التوحيد بشاهد من شواهده زلت به قدم الغرور في مهواة من التلف " يريد بذلك: أن من ركن إلى التقليد، ولم يتأمل دلائل الوحيد؛ سقط عن سنن النجاة؛ ووقع في أسر الهلاك.

ومن تأمل ألفاظهم، وتصفح كلامهم، وجد في مجموع أقويلهم ومتفرقاتها ما يثق - بتأمله - بأن القوم لم يقصروا في التحقيق عن شأو، ولم يعرجوا في الطلب على تقصير.

=

=

ونحن نذكر في هذا الفصل جملا من متفرقات كلامهم فيما يتعلق بمسائل الأصول.

وسمعت: الشيخ أبا عبد الرحمن محمد بن الحسين السمي، رحمه الله، يقول: سمعت عبد الله بن موسى السلامي يقول: سمعت أبا بكر الشبلي يقول: " الواحد: المعروف قبل الحدود وقبل الحروف " وهذا صريح من الشبلي أن القديم - سبحانه - لا حدَّ لذاته، ولا حروف لكلامه.

سمعت أبا حاتم الصوفي، يقول: سمعت أبا نصر الطوسي يقول: سئل رُويم عن أول فرض افترضه الله عزَّ وجلَّ على خلقه ما هو؟ فقال: المعرفة؛ لقوله جلَّ ذكره: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون). قال ابن عباس: إلا ليعرفون.

وقال الجنيد: إن أول ما يحتاج إليه العبد من الحكمة: معرفة المصنوع صانعه، والمحدث كيف كان إحداثه، فيعرف صفة الخالق من المخلوق، و صفة القديم من المحدث، ويذل لدعوته، ويعترف بوجوب طاعته؛ فإن من لم يعرف مالكه لم يعترف بالملك لمن استوجبه.

أخبرنى محمد بن الحسين، قال: سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول: سمعت أبا الطيب المراغى يقول: للعقل دلالة، و للحكمة إشارة، وللمعرفة شهادة؛ فالعقل يدل. والحكمة تشير. والمعرفة تشهد: أن صفاء العبادات لاينال بصفاء التوحيد.

وسئل الجنيد عن الوحيد، فقال: إفراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته: أنه الواحد، الذي لم يلد، ولم يولد. بنفي الأضداد، والأنداد، والأشباه، بلا تشبيه. ولا تكييف، ولا تصوير ولا تمثيل (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) .

أخبرنا محمد بن يحيى الصوفي، قال: أخبرنا عبد الله بن علي التميمي الوصفي، يحكى عن الحسين بن علي الدامغاني، قال: سئل أبو بكر الزاهرآباذي عن المعرفة، فقال: المعرفة: اسم، ومعناه وجود تعظيم في القلب يمنعك عن التعطيل والتشبيه.

صفاته: قال أبو الحسن البوشنجي، رحمه الله، التوحيد: أن تعلم أنه غير مشبه للذوات، ولا منفيٍّ الصفات.

الرسالة القشيرية - (ج ١ / ص ٤)

=

=

سمعت محمد بن الحسين السلمي، رحمه الله، يقول: سمعت أبا عثمان المغربي يقول، وقد سئل عن الخلق، فقال: قوالب وأشباح تجري عليهم أحكام القدرة.

الأرزاق

وقال الواسطي: لما كان الأرواح والأجساد قامتا بالله، وظهرتا به لا بذواتها، كذلك قامت الخطرات والحركات بالله لابذواتها، إذ الحركات والخطرات فروع الأجساد والأرواح. صرَّح بهذا الكلام أن أكساب العباد مخالوقة لله تعالى، وكما أنه لا خالف للجواهر إلا الله تعالى، فكذلك لا خالق للأعراض إلا الله تعالى.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، رحمه الله، يقول: سمعت محمد ابن عبد الله يقول: سمعت أبا جعفر الصيدلاني يقول: سمعت أبا سعيد الخراز يقول: من ظنَّ أنه ببذل الجهد يصل إلى مطلوبه فمتَنٍ، ومن ظن أنه بغير الجهد يصل فمتمنٍ.

وقال الواسطني: المقامات أقسام قُسِّمت، ونعوت أجريت، كيف تُستجلب بحركات، أو تنال بسعايات؟.

الكفر

وسئل الواسطي عن الكفر بالله أو الله، فقال: الكفر والإيمان، والدنيا الآخرة: من الله، وإلى الله، وبالله، ولله: من الله إبتداء وإنشاء، وإلى الله مرجعاً وانتهاء، وبالله بقاء وفناء، ولله ملكا وخلقاً.

وقال الجنيد: سئل بعض العلماء عن التوحيد، فقال: هو اليقين.

فقال السائل: بّين لي ما هو؟ فقال: هو: معرفتك،أن حركات الخلق وسكونهم، فعل الله عزَّ وجلَّ، وحده، لا شريك له فإذا فعلت ذلك فقد وحَّدته.

سمعت محمد بن الحسين رحمه الله، يقول: سمعت عبد الواحد بن علي، يقول: سمعت القساسم بن القاسم يقول: سمعت محمد بن موسى الواسطي يقول: سمعت محمد بن الحسين الجوهري يقول: سمعت ذا النون المصري يقول، وقد جاءه رجل فقال: ادع الله لي فقال.

=

=

إن كنت قد أُيدت في علم الغيب بصدق التوحيد، فكم من دعوة مجابة قد سبقت لك، وإلا فإن النداء لا يُنقذ الغرقي.

وقال الواسطي: ادَّعى فرعون الربوبية على الكشف، وادَّعت المعتزلة على الستر، تقول: ماشئت فعلت.

وقال أبو الحسين النوري: التوحيد: كلُّ خاطر يشير إلى الله تعالى، بعد ألا نزاحمه خواطر التشبيه.

وأخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي، رحمه الله تعالى، قال: سمعت عبد الواحد بن بكر، يقول: سمعت هلال بن أحمد يقول: سئل أبو علي الروذباري عن التوحيد، فقال: التوحيد: إستقامة القلب بإثبات مفارقة التعطيل، وإنكار التشبيه، والتوحيد في كلمة واحدة: كل ما صوَّره الأوهام والأفكار فالله سبحانه بخلافه، لقوله تعالى: (ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير) .

وقال أبو القاسم النصرآباذي: الجنة باقية بإبقائه. وذكرُه لك، ورحمته، ومحبته لك باق ببقائه. فشتان بين ما هو باق ببقائه، وبين ما هو باقٍ بإبقائه.

رحم الذي قاله الشيخ أبو القاسم النصرآباذي، هو غاية في التحقيق؛ فإن أهل الحق قالوا صفات ذات القديم سبحانه: باقيات ببقائه تعالى. فنبه على هذه المسألة وبين أن الباقي باقٍ ببقائه. بخلاف ما قاله مخالفو أهل الحق فخالفوا الحق.

أخبرنا محمد بن الحسين؛ قال: سمعت النصرآباذي يقول: أنت متردد بين صفات الفعل وصفات الذات، وكلاهما صفته تعالى،على الحقيقة، فإذا هيمَّك في مقام التفرقة قرّنك بصفات فعله، وإذا بلَّغك إلى مقام الجمع قرنك بصفات ذاته. وأبو القاسم النصرآباذي كان شيخ وقته.

سمعت الإمام أبا إسحاق الإسفرايني، رحمه الله، يقول: لما قدمت من بغداد كنت أدرس في جامع نيسابور مسألة الروح، وأشرح القول في أنها مخلوقة، وكان أبو القاسم النصراباذي قاعداً متباعداً عنا؛ يصغي إلى كلامي، فاجتاز بنا بعد ذلك يوماً - بأيام قلائل، فقال لمحمد الفراء: أشهد أني أسلمت جديداً على يد هذا الرجل، وأشار إليَّ.

=

=

سمعت محمد بن الحسين السلمي، يقول: سمعت أبا حسين الفارسي يقول: سمعت إبراهيم بن فاتك يقول: سمعت الجنيد يقول: متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير له بمن له شبيه ونظير؟! هيهات، هذا ظن عجيب إلا بما لطف اللطيف من حيث لا درك، ولا وهم، ولا إحاطة إلا إشارة اليقين وتحقيق الإيمان.

أخبرنا محمد بن الحسين، رحمه الله تعالى، قال: سمعت عبد الواحد ابن بكر يقول: حدثني أحمد بن محمد بن علي البرعي، قال: حدثنا طاهر بن إسماعيل الرازي، قال: قيل ليحيى بن معاذ: أخبرني عن الله عزَّ وجلَّ. فقال: إله واحد.

وأخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي، رحمه الله تعالى، قال: سمعت محمد بن محمد بن غالب. قال: سمعت أبا نصر أحمد بن سعيد الأسفنجاني يقول، قال: الحسين بن منصور: ألزِم الكلَّ الحدث، لأنَّ القدم له. فالذي بالجسم ظهوره فالعرَض يلزمه، والذي بالأداة اجتماعه فقواها تمسكه والذي يؤلِّفه وقت يفرقه وقت، والذي يقيمه غيره فالضرورة تمسه. والذي الوهم يظفر به فالتصوير يرتقي إليه؛ ومن آواه محل أدركه أين، ومن كان له جنس طالبه مكيِّف.

إنه سبحانه لا يظله فوق، ولا يقله تحت، ولا يقابله حد ولا يزاحمه عند، ولا يأخذه خلْف، ولا يحدُّه أمام، ولم يظهره قبل ولم يفنه بعد. ولم يجمعه كلٌّ ولم يوجده كان، ولم يفقده ليس.

وصفه: لا صفة له. وفعله: لا علة له؛ وكونه: لا أمد له تنزَّه عن أ؛وال خلقه. ليس له من خلقه مزاج، ولا في فعله علاج بانيهم بقدمه، كما باينوه بحدوثهم.

إن قلت: متى، فقد سبق الوقتّ كونه. وإن قلت: هو، فالهاء والواو خلْقه. وإن قلت: أي، فقد تقدَّم المكانّ وجوده.

فالحروف آياته. ووجوده إثباته ومعرفته توحيده. وتوحيده تمييزه من خلقه. ما تُصوِّر في الأوهام فهو بخلافه، كيف يحُلّ به ما منه بدأه؟ أو يعود إليه ما هو أنشأه؟ لا نماقة العيون، ولا تقابله الظنون. قربه كرامته، وبُعده إهانته، علوُّه من غير توقُّل ومجيئه من غير تنقُّل.

=

=

هو: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، القريب البعيد، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر الطوسيّ السرَّاجي يحكى عن يوسف بن الحسين، قال: قام رجل بين يدي ذي النون المصري، فقال: أخبرني عن التوحيد: ما هو؟ فقال هو: أن تعلم قدرة الله تعالى في الأشياء بلا مزاج، وصنعه للأشياء بلا علاج، وعلَّة كل شيء صنعه، ولا علَّة لصنعه. وليس في السموات العلا، ولا في الأرضين السفلى مدبِّر غير الله، وكل ما تصوّر في وهمك فالله بخلاف ذلك.

وقال الجنيد: التوحيد: علمك وإقرارك بأن الله فرد في أزليته الثاني معه ولا شيء يفعل فعله.

الإيمان

وقال أبو عبد الله بن خفيف: الإيمان: تصديق القلوب بما أعلمه الحق من الغيوب.

وقال أبو العباس السياري: عطاؤه على نوعين: كرامة، واستدراج من الغيوب.

وقال أبو العباس السياري: عطاؤه على نوعين: كرامة، واستدراج. فما أبقاه عليه فهو كرامة، وما أزاله عنك فهو استدراج، فقل: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى. وأبو العباس السياري كان شيخ وقته.

سمعت الأستاذ أبا علي الدَّقاق، رحمه الله، يقول: غمزَ رَجلٌ رِجل أبي العباس السياري: فقال: تغمز رِجلا ما نَقلتها قط في معصية الله عزَّ وجلَّ!! وقال أبو بكر الواسطي: من قال " أنا مؤمن بالله حقاً " قيل له: الحقيقة تشير إلى إشراف، وإطلاع، وإحاطة، فمن فقده بطل دعواه فيها.

يريد بذلك ما قاله أهل السنَّة: إن المؤمن الحقيقي: من كان محكوما له بالجنة فمن لم يعلم ذلك من سرِّ حكمة الله تعالى، فدعواه: بأنه مؤمن حقاً غير صحيحة.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا الحسن العنبري يقول: سمعت سهل بن عبد الله التستري يقول: ينظر إليه، تعالى، المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية.

=

وانظر إلى ما نقل عن بعض السادة، أنه لما سمع المؤذن قال له: طعنة وسم الموت، وقال للكلب إذ نبح: لبيك وسعديك[1].

وانظر ما تفهم، فقد بلغني أنك تستدل على كفر الشيخ وغيره من الأولياء بما في الرسالة، فقال: لله كل متعصب بالباطل مصر على ضلاله، والله يهدي السبيل، على أن المجاز والتشبيه، والاستعارة والكناية والتورية ، وما شاكل هذه الأنواع من أنواع البديع واقع في القرآن كثير، ولم تزل الفصحاء والبلغاء تستعمل ذلك، وتتبجح به، وتفتخر بحسن استعماله، وأنه موضع دقة الفهم، ورقة الطباع، وصحة الفهم، والغوص على استخراج درر المقاصد، وحسن التعبير، بالنظر على خبايا الأسرار من المعاني البديعة الرائقة البعيدة اللائقة، وعلى هذا النحو أنزل الله الكتاب المبين، معجز

=

وقال أبو الحسين النوري: شاهد الحقُّ القلوبَ، فلم ير قلباً أشوق إليه من قلب محمد صلى الله عليه وسلم، فأكرمه بالمعراج، تعجيلاً للرؤية والمكالمة.

سمعت الإمام أبا بكر محمد بن الحسن بن فورك، رحمه الله تعالى، يقول: سمعت محمد بن المحبوب - خادم أبي عثمان المغربي - قول: قال لي أبو عثمان المغربي يوماً: يا محمد، لو قال لك أحد: أين معبودك؟ إيش تقول؟ قال: قلت: أقول حيث لم يزل.

قال: فإن قال: أين كان في الأزل؟ إيش تقول؟ قال: قلت: أقول حيث هو الآن، يعني: أنه كما كان ولا مكان فهو الآن كما كان.قال: فارتضى مني ذلك، ونزع قميصه وأعطانيه.

سمعت الإمام أبا بكر بن فورك، رحمه الله تعالى، يقول: سمعت أبا عثمان المغربي، يقول: كنت أعتقد شيئاً من حديث الجهة، فلما قدمت بغداد زال ذلك عن قلبي، فكتبت إلى أصحابنا بمكة: أنى أسلمت الآن إسلاماً جديدًا.

(١) انظر: الرسالة القشيرية (ص٢) وما بعدها.

للفصحاء والبغاء، ومن هذا الوجه وبلوغه فيه حد الإعجاز كانت معانيه أكثر من أن تحصى، وأجل من أن تستقصي فهل يفهم ما يقدر له؟ وما نخصص به من الفيض من فهمه، قال تعالى: ﴿ اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر:٢٣] واللبيب الفطن الذكي الألمعي لا يعجبه من الكلام إلا ما كان على هذا الوجه، ولا يرتضي من نفسه إلا بالبليغ من ذلك، البالغ الغاية فيه.

وأما البليد القدم الغبي الأبكم، لا يحسن عنده إلا القريب المعنى، الواضح الدلالة البين المراد الظاهر، الغير المحتاج إلى زيادة النظر ودقة التأمل، وأدقه تعرضت إلى إنكار هذا القدر من كلام هذا الأستاذ العظيم، وأحوج الأمر إلى بيانه وإيضاح بيانه، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فلنعتصم بحول الله وقوته وحبله المتين فنقول:

العارض لسعي عهد ابن الفارض

أصل: اعلم أن التوحيد على مراتب، ولكل مرتبة رجال، وأعلاها رتبة المحقق، والمحقق هو الذي ينطق عن الشيء من حيثما هو متحقق به حقًا، على الحقيقة حالًا أو علمًا، حصل عن شهود أو وجود كما في قوله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ﴾ [محمد: ١٩] ونريد بقولنا: ينطق عن الشيء، أن يكون بحاله لو أراد أن يتكلم لأمكنه ذلك تحقيقًا، ونريد بالنطق ما يدل على المراد سواء كان كلامًا أو فعلًا أو رمزًا، أو إشارة.

وعلى الجملة فالمراد به الحركة الدالة عليه، سواء كانت كلامية أو غير كلامية، فافهم، فرتبة المحقق في التوحيد، أن يكون ناطقًا عن التوحيد بلسانه لتحققه به علمًا حصل عن شهادة وشهود، وذوق حصل عن وجد ووجود، ولا وصول للعبد إلى ذلك

التحقق إلا بعد قطع عتبة وجوده وشهوده، بالعناء والعماء والجواز من هذا الممر إلى مقر الرؤية والفناء.

وليس المراد بوجوده في أول مرتبة من مراتب التوحيد إلا رؤيته، فإذا فني شاهده في الفرق فقد استعد لفيض نور التقديس، وظهور الحياة الأبدية، ولسنا نحيل في ذلك على طريق محال حتى لا يمكن الوصول إليه، ونريد فيه مجرد صدق الإيمان بل إن فهمت ما قلنا فقد تحققت، وسنوضح طريقًا إليه أيضًا، هي دليلنا على المدعي فنبدي لك ما يحتمله عقلك، ويسعه عملك، ولتتصف من نفسك وبطريق الخبر، والخبر إن كنت منصفًا واقفًا مع الحق، غير مائل مع هوى النفس، وأخرج من قيد الطبيعة، ولا تقف مع صورة الدنيا الفانية، الغدارة بأهلها، فإنما هي ساعته، وقد بطلت رئاستها، وذهب جاهها، ونفدت قوتها، وعزل منصبها، وانكسرت شوكتها، ودائمًا هي سراب متوهم، أو ظل منصرم، ولا تكن واقفًا مع حجاب الصور بل جزء إلى المعاني[1].

---

(١) قال الديلمي: واعلم أن التوحيد درجة رفيعة عندهم يكون لأصحاب الخفي بشرط فنائه، وفناء فنائه، وفناء خفيه، وفناء جميع صفاته، و فناء كل شيء عنده غير الواحد، وفي هذا كلام طويل غير أنه ما أراد بالموحد هنا ذاك الموحد الذي دخل في عالم الفناء الذي يسمونه جمع الجمع، وعين الجمع لأن من عالم الفناء لا يتصور منه الإشارة، وإنما أراد به من هو في الجمعية وهو الذي لا في نظره، وعلمه، وفهمه، إلاَّ هو مع المقصود، وهو الحقيقة اللهم إلاَّ أن يكون هو في عالم الفناء لكن يقع إشارته لا بصنعه واختياره، فيعرج بها عن الفناء، وهو الهلاك من عالم عين الجمع، فهذا أيضًا قريب، وأما إشارته أنواع مختلفة؛ لكنه أراد بالإشارة هنا ما يجرى في وهمه أن ما رأى هو المقصود فربما يقف فينقطع؛ فإن قلت: هذا الهلاك بهذه الالتفاتات كائن لا محالة أم لا؟

=

وانظر لنفسك عند تحقيقك لما أمليه عليك، تجد نفسك سالكًا معه إلى مرتبة الفناء المقتضية لإسباغ الفضل ومد العطاء، فإذا نظرت فالمسئول منكم الرجوع إلى الله تعالى عن نكر النكران، ونريد جمع المنكرين وأهل الإرادة، ومن فتح لهم باب السعادة، ليكون المقصود عموم الرحمة الاختصاصية، فتكون رحيمية رحمانية، والله تعالى الموفق لمن شاء من خلقه، أسأله التوفيق لي ولجميع المسلمين، وأسأله الهدية العامة منه وكرمه، آمين، إنه هو الفعال لما يريد.

=

قلت: ما شاء ونعوذ بالله من ذلك؛ فإن هذه الالتفاتات مما يكثر وربما يوجد أكثر من ذلك للأولياء الكبار ولا يهلك به لا محالة، والهلاك إنما يحصل إذا ألف وأنس بما التفت إليه وولع به ورغب عمَّا فوقه جهلاً بما فوقه، أو كسلاً عن السر، أو استطابة لها مع دناءة الهمة فيقف عند الأدنى ويرضى بها، ولا يريدون بهذا الهلاك الكفر، أو الفسق في الشريعة، ولا استحقاق العقوبة عليها بنار الجحيم، بل عوقب هذا الملتفت إنما يعاقب بالانقطاع عمَّا التفت عنها من المقامات العالية إلى المنازل الدنية فيترك فيها، وربما يقول بعضهم إن الالتفات من الأعلى إلى الأدنى كفر، وشرك، وردة، وزندقة، يعنون به الارتداد والتنزل من أعلى إلى أسفل لا ما هو كفر، وردة في الشريعة فافهم.

إنما قال ابن عطاء هذا القول لأمرين أحدهما: تحذيرًا، والآخر: تنزيهًا، فأما التنزيه فإن الالتفات على الغير تقصير وخلاف هذا المقام فأراد أن يكون المريد منزها عن ذلك التقصير وأما التحذير فإنه لما كان ذلك الالتفاتات تفضي إلى الهلاك أشار إليها على سبيل الندرة وحذرهم عن ذلك الالتفاتات لكي يجتهدوا في الاحتياط؛ لأنه لما كان تحذيرًا من الله تعالى حذرهم إن شاء الله وحده. انظر: شرح الأنفاس الروحانية (ص١٤٨) بتحقيقنا.

فنقول: اعلم أن العالم بأسره لا وجود له من نفسه؛ بل إنما وجوده بنور الله القائم القيوم، فقيامه إنما هو بقيومية الحق تعالى، إذ هو غير قائم بنفسه فهو من حيث هو عدم، فرؤية العبد له ثابتًا موجودًا من غير ملاحظة عدمه، وقيامه بالحق في كل لحظة وخطرة وطرفة غفلة، أو اعتقادًا شرك وجحود وإلحاد، بحسب الاعتبار حقيقة أو مجازًا.

أما شرك فلأنه أشرك مع الله في الوجود حقيقة غيره، وأما جحود فلأنه بعد ظهور الآيات وإقامة الدلائل البينات عنده على التوحيد، نسي وغفل أو أنكر ما أشرك حقيقة فكذب بآيات بعد ما ـ أو عمل على علمه بالله، وأثبت وجودين، وجودًا للحق، ووجودًا للخلق، أو وجودات ونسي ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن:٢٦] و ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ﴾ [القصص:٨٨] و﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم:٩].

وقد كانت آفة السامري في اتخاذه العجل، وإضلال بني إسرائيل النسيان، وهو آفة العمى في الحشر ولا يجبره إلا توبة نصوحًا، وهي سجدة الاعتراف بخطئه وذنبه، وسجدة الاعتراف لشكر ربه، فافهم.

وإما إلحادًا فلأخذه جانبًا عن الحق، بعد أخذ الميثاق منه، وخلقه سويًا على الفطر ﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ [الملك:٣] ولم يمنع الشارع من إطلاق هذه الألفاظ على من قامت به هذه المعاني ولا نهى عنه، لا بنص بين، ولا بإفهام حتى تنكره على من يقول، بل قال: «تعس عبد الدنيا»[1].

---

(١) رواه البخاري (٢٦٧٣).

وقال: «**كل أمة عجل، وعجل أمتي الدنيا والدرهم**»(١).

وقال: «**لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**»(٢)، وقرأ علينا: **﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ﴾** [الجاثية:٢٣] إلى ذلك مما يقتضي جواز إطلاق هذه الألفاظ، صريحًا أو إشارة.

والإنسان إذا تكلم بكلام فقد يتكلم فيه باصطلاح الشرع، وقد يتكلم باصطلاح العقلاء، أو باصطلاح أهل اللغة، أو باصطلاح، بل بما يقتضيه حقيقته المشهودة له مثلًا، وهو قد يوافق فيه اصطلاحًا، وقد لا يوفق في اللفظ، ولكنه يوافق في المعنى أصولًا واصطلاحات عقلية وشرعية، إذا علمت المقاصد فيه.

وهذا شأن المكاشفين بالحقائق، والشيخ ليس هو بصدد تقرير أحكام شرعية ولا عقلية حتى تلزمه المشي على قانون اصطلاح، بل إنما هو مخبر عن حاله، وما كوشف به، ولا يلزم من يخبر عن الواجدان لعرض أو منام مثلًا أن يتقيد فيه باصطلاح، بل إنما يخبر بما يمكنه أن يبين به من الكلام، ودليلنا على ذلك الوجدان، فإن الإنسان إذا أراد أن يبين حقيقة ما في نفسه، فإنما يبين بما يمكنه، ويتسلط عليه من القول على قدر استعداده، وبحسب رتبته من البلاغة، ومنه تفاوتت رتبة العلماء، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، والمتكلم بحقيقة ما في نفسه غائب عن بيان تلك الحقيقة، بحسب تجليها في وجوده وظهور صورتها في مرآة قلبه، وانطباعها في قواه وحواسه، فهو متلاش بها عما سواها قطعًا وضرورة، يعرف ذلك صاحب الوجدان، وينكره دون

---

(١) ذكره الهندي في الكنز (٣/ ٣٢٣)، وعزاه للديلمي.

(٢) رواه البخاري (٢٣٤٣)، ومسلم (٥٧).

الفقدان، غاية ما يلزمه عقلًا وعرفًا في الباب إلى أن يجري على قانون اللغة المتكلم بها، إن عربيًا فعربي، وإن أعجميًا فأعجمي، ولا يلزم من ذاق اللذيذ من المذوقات أن يتحامى كلمة الطيب، دون أن يكون حلالًا، إلا إذا أراد أن يخبر عن الحكم الشرعي أو يبينه فيه، وما أفهمه بعض كلامه من بيان أحكام عقائد وسلوك طرائق، مما هو حكم شرعي، فإنما ذلك بحسب ما اقتضاه حاله الشريف لا بقصد بيان حكم شرعي على جهة العلم الحاصل عن الاجتهاد والكسب، وبتأمل الفكر والنظر والاقتباس من الكتب بطريق الدليل والتعليل، ليقلد فيه ويتبع بل حسب ما يكشف الحال.

فإن قلت: إذًا لأغيره بكلامه ولا ينبغي حينئذٍ أن يلتفت إليه إذا كان على هذا الحد.

قلت: بلى، إنه الحق المبين الذي لا ينبغي أن يحاد عنه، إذ هو كلامٌ نشأ عن حال مسبب عن اعتقاد حق، وعمل صالح بصدق اقتضاه العلم الشرعي المحمدي، فهو لبه وفرق كبير بين دُهن اللوز، واللوز، فإن اللوز دهن وتفل وقشور، مركب في صورة مخصوصة، وذاك جزء واحد من مجموعة وهو الدُّهن، فافهم.

وما ظنك بعلم أشار الحق تعالى إليه بقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٨٢] فطريق الفناء هو ملاحظتك أنت، جوهر أو عرضًا بعين العدم الذاتي له، وإقرار كل شيء على ما أقر عليه من نعمة الوجود، وهو سبيل مسار البقاء.

فتأمل في نفسك بالعمل اليقيني، ولو مرة، وخذه ولو لمحةً فهم لا يرون العبد موحدًا ما دام يرى الخلق وأفعالهم، ويجري على قانون ذلك كما قررنا، وهذا كما تقول

صاحب إيمان تام، وكما تقول ليس بمؤمن في حق مرتكب الكبيرة حال ارتكابها، ونحا ذلك القشيري ﷺ في رسالته عن الفضيل بن عياض - قدس الله سره - ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك، فمن ذلك إذا عمل العامل لنفسه قبل حصول تمام العلم عنده ، أو رأى عمل سُنة فقد أشرك، وانقله إلى التوحيد، فمن وحَّد وهو يرى أنه موحد بنفسه، وأن له توحيدًا من ذاته غافلًا عن رؤية الحق فيه به، وأنه لا وجود له من نفسه ولا يشهد عدمه وكل شيء في جنب الحق، فقد أشرك وجحد وألحد؛ لأنه شهد نفسه ووجوده مصدرًا حقيقيًا للفعل، ولم يرده إلى الله جحودًا كبعض الفرق، وإما غفلة ونسيانًا كعامة الخلق، فهذا هو مراد الشيخ ﷺ بقوله:

ولو أنني وحّدْتُ ألحدتُ وانسَلخـ ... تُ مـن آيِ جَمعـي مـشركاً بيَ صـنعتي

بدليل قوله في نفيه البيت، وانسلخت من آيِ جَمعي مشركًا بيَ صنعتي.

فقوله: من آي جمعي يدلك على المعنى المراد من الإلحاد، وهو حال العبد في الفرق الأول، ويزيده بيانًا قوله: مشركًا بي صنعتي، والإشكال في الإضافة يرتفع بآي الجمع، إذ هو توسع فائدة تحقيق المقام، وتوثيقه في نفس السالك، فيتعين، وكما يشهد لذلك أيضًا ما سبق له من دعوى توحيد الحب في أوائل القصيدة بقوله:

وَعَن مَذهَبي في الحُبِّ ما لِيَ مذهَب ... وإن مِلتُ يوماً عنهُ فارَقتُ مِلَّتِي

وَلَو خطَرَت لي في سِواكِ إرادةٌ ... على خاطري سَهواً قضيتُ بِرِدَّتِي

يريد بقوله: مذهبي - والله أعلم - طريق ذهابه، أي: اضمحلال رسمه بفناء وهمه من قول ذي النون في حق أبي يزيد - رضي الله عنهما - ذهب في الذاهبين إلى الله وهذا الذي قررناه وهو مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري ﷺ حيث يقول بتوحيد

الأفعال، ويرى نسبة الفعل إلى الله تعالى بالحقيقة ، بدليل: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦] وبأدلة عقلية أيضًا، هي مسطورة في كتب الكلام، والفرق بينك وبين سيدي عمر بن الفارض ﷺ في هذه المسألة أنه لما علم عمل واتقى؛ فعملّه الله ما لم يكن يعلم تحقيقًا وشهودًا، وأنت لما علمت - إن كنت علمت - تركت وغفلت وجهلت فأشركت وجحدت وألحدت، فهو وجد نتيجته العمل الموجود، وأنت وجدت ثمرة غفلتك الفقد، وليس الموحد لغة إلا فاعل التوحيد، فيلزمه رؤية فعله ضرورة، فلذلك صح للشيخ ﷺ الإطلاق ولم يقيد بما ذكرنا من المعنى في قوله:

فلو أني وحدت ألحدت

أعني لم يقيد بأن كان يقول مثلًا: فلو أنني وجدت رأسًا فعل نفسي؛ لأن المعنى اللغوي يقتضي ذلك فلا حاجة على بيانه.

فصاحب التوحيد الفعلي المجازي هو الموجد لغة، ويلزم الشرك الخفي وصاحب التوحيد الحالي هو الموحد حقيقة، فافهم، مع أن إتيانه بتاء المتكلم في: وجدت محققة للتقييد والشرك.

قال الشبلي لرجل: تدري لم لا يصح توحيدك؟ قال: لا، قال: لأنك تطلبه بك.

فقد تبين لك إذًا أن تكفيرك لهذا الإمام المبين بسبب هذا المعنى جزافًا من غير تثبت ولا نظر صحيح، وتأمل، ولا مراجعة أهل الذكر خطأ كبير، وكفر صراح، في مراتب متعددة من الإلزام بالدليل، وصحة المعنى، فإن تكفير المسلم بغير سببٍ موجب كفر، فتبين!

وكان شأنك لو أرادت الحق والوقوف عنده أن تقول هذا القول على ما استحضره من القواعد الشرعية، وبحسب فهمي وما تبين منه حكمًا كفر، ولا أتحقق ما في نفس الأمر ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٧٦].

فتكون أنت قد خلعت نفسك من حيث ظنك واجتهادك، وخلعت من عهدة الكلام عليك من قبل الحق والخلق، هذا إن سُئلت عنه ووجه إليك الخطاب فيه وقصدت به واضطررت إلى الكلام عليه وإلا سكت عن مثل ذلك وطمست عليه، واشتغلت بما هو الأهم لك، وهو تفتيشك عن عيوب نفسك، ومحاسبتك لنفسك قبل يوم الحساب، فإن بين لك وجه الصواب منه، ووجه على القانون الحق تأنيت في فهمه ولم يتبادر إلى إنكاره، بهوج الطبيعة ونار البشرية، وأرغمت أنف الشيطان ورجعت إليه، واعترفت بتقصيرك ونقص حظك من العلم، والله واسع عليم.

هذا قبل مبادرتك إلى إنكار الشيء الذي تظنه منكر، أن تستفت فيه أهل الذكر ثم تشرع في إنكاره وتغييره بعد ذلك إذ كان، ولابد فإنك بعيد الحظ من العلم، فإن فرارك حينئذٍ يكون رسول الله ﷺ خصمك، كما لوّحتَ فيما حيكت من مقالة بعض السلف الصالح، إذ لم يكن على تجريح بعض علماء المحدثين، وظننت أنك بذلك في شغل، وأنك قد استشهدت بشاهد، ونصبت دليلاً أوقعك في عين ما قررت كما ترى، فاحذره، وكن من مكر الله على وجلٍ، فقد قال ﷺ: «مَنْ آذَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ»[1].

---

(١)رواه البخاري (٥/ ٢٣٨٤)، وابن حبان (٢/ ٥٨)، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٤٥).
قال العلامة عبد الحليم الرومي في رياض السادات: وهذا يُشير إلى التحذير من إيذاء أولياء الله تعالى، ومعنى الإيذان: الإعلام والحرب المحاربة، وهذا من التهديد في الغاية القصوى؛ لأن من حارب الله تعالى =

ولحوم الأولياء والعلماء سُمٌّ، فما الذي حملك على التجربة في نفسك، وقد نقل عن رويم البغدادي - قدس الله سره - أنه كان يقول: من جالس [الصوفية] حتى يخالفهم في شيء مما يقولوه نزع الله نور الإيمان من قلبه.

قَدْ نَصَحْتُ فَخُذْ نُصْحِي عَلَى ثِقَةٍ   مَا كُلُّ لَحْمٍ قُبَيْلَ الصُّبْحِ غَرَّارُ

فإن بعض عباد الله قد قعد لك بالمرصاد، وهو ينتظر منك حركة غير صالحة، ليظهر فيك نبأ، ويردع بك غيرك، فتصير عبرة لأمثالك فأقدم وقدم، والله يفعل ما يريد.

فإن قلت: لا ينافي دعوى امتثال القول تغيير المنكر، فإن الحديث لا يستلزم أن يكون الإنسان في نفسه غير مرتكب لمنكر، وإنما هو يغير المنكر سواء كان مرتكبًا منكرًا

=

أهلكه إهلاكًا، وهو من المجاز البليغ؛ إذ لا يتصور محاربة رب العزة جل جلاله، وكأن المعنى فيه المعاندة والمخالفة والكراهة لمن أحب الله تعالى.

فمن أبغضهم فقد عاند الله تعالى وخالفه نعوذ بالله تعالى من ذلك الشقاء.

وجاء في بعض «شروح الهداية» أن جماعة أساءوا الأدب مع سيدنا الإمام عمر بن الخطاب ﷺ فارتقى المنبر في حدة وقال: «اللهم اكفني فلانًا أصحابه»، فما حال الحول حتى لم يبق فيهم عين تطرف.

وإن من أطلق لسانه في أولياء الله تعالى بالسب ابتلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قال بعض العلماء: «الفتنة هي الكفر» فليعود نفسه طالب النجاة والسلامة، والمحافظة على حب العلماء العاملين والصالحين والفقراء والصادقين والمجذوبين، فإنما جذبت عقولهم منهم لدفع الأمر عنهم، وخصوصيتهم عند ربهم تبارك وتعالى قربًا ومحبة، وقد ورد في الحديث الشريف: «ربَّ أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره»، وانظر: رياض السادات، ضمن كتابنا «جمع المقتال في إثبات كرامات الأولياء في الحياة وبعد الممات»- طبع الآثار الإسلامية- فإنه أشمل كتاب في الدفاع عن الأولياء بإثبات الكرامة لهم حياة ومماتًا.

أو لم يكن، وعليه نصَّ الغزالي وغيره.

قلنا: بلى يستلزم ذلك بطريق الإفهام، فإن جمل خطابه لأهل الإيمان التام، أولى من غيرهم لما فيه من المشافهة للصحابة ﷺ مع إرادة العموم، فتحمله على من اقتفى أثرهم، واهتدى بهديهم أتم إذ وفى ذلك توليه أمر، ولا يولى أمرًا من أمور المسلمين إلا من كان رشيدًا فيه، لا سفيهًا.

ومراد العلماء – رضي الله تعالى عنهم – من أنه لا يشترط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كونه على تمام من ذلك من اللبس في نفسه، بل بأمر ونهي، وإن كان مرتكبًا لتلك المعصية؛ لئلا يكون على تمام من الجهل والمخالفة بالمواطأة مع العصاة، على الخلاف بل يجتهد في تغييره حتى يكون تابعًا للحق، من وجه، فافهم.

ولئن رضيت لنفسك ذلك، فكفاك بهذا القدر حسابًا لك وحجة عند الحق والخلق.

وكأنك المعنى بقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ﴾[الشعراء:٢٢٦]

لا تَنــهَ عَــن خُلُــقٍ وَتَــأتِيَ مِثلَــهُ عــارٌ عَلَيــكَ إِذا فَعَلــتَ عَظــيمُ(١)

﴿وَاللهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب:٤].

وأما قولك: ومن قال إننا نسلم لكل أحدٍ حاله سواء عبد النار أم لا.

فاعلم أن ذلك من الهوس والهوج، وعدم التأمل برياضة العقل والشرع وتوجه القلب إلى الله تعالى في فهم ما عنيت، فنحن وكل المسلمين نعلم ونعتقد ونتحقق أن من قال ذلك فقد كفر، ولكن من قاله حتى ينكر عليه، وإن أدى الحال إلى الجهاد بالسيف كما

---

(١) لأبي الأسود الدؤلي كما في ديوانه (٩).

ذكرت، وأشرت به إلى تمام إيمانك وأظنك فيه على خلاف ظنك بنفسك، كما يدل عليه قولك وفعلك، وما انتشر به علمك، وإنما عندك إقدام وجرأة على أولياء الله تعالى، وعلى كل أحدٍ إذ ليس عندك من رقة الطبع وسهولة الوجه، وانشراح الصدر ما توجه به عباد الله وأحوالهم، فرد ذلك إلى الوجوه المستحسنة الحسنة، لتنال الحسنة كما هو مقتضى جبلة الكُمّل.

فإنك جَبلي الجبلة والطبع، مجبول الطينة الطبيعية على القساوة، حجري المزاج، لا ينفع فيك كثرة العلاج.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ المَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ الله وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:٧٤] ولقد تخيل لك نفسك السحَّارة عند وقوفك في شيء تنكره أنه من الإيمان، وقوته على قدر علمك أو جهلك، والله أعلم.

فتخيل أنك واقفٌ بحق على قدم صدق، والحال أنك فيه على خلاف ذلك كما أوضحناه لك في غيرما موضع.

ولئن أشرت بقولك إلى كلام الشيخ ﷺ في تائيته حيث يقول:

وما عَقَدَ الزّنّارَ حُكماً سوى يدي ... وإنْ حُلّ بالإقرارِ بي فهيَ حلّت

وإن نارَ بالتّنزيلِ مِحْرابُ مَسجدٍ ... فما بارَ بالإنجيلِ هيكلُ بِيعَة

وأسفارُ تَوراةِ الكَليمِ لقَوْمِهِ ... يُناجي بها الأحبارُ في كلّ ليلة

وإن خَرّ للأحجارِ في البُدّ عاكِفٌ ... فلا وجْهَ للإنكارِ بالعصَبِيّة

فقــد عَبَــدَ الــدّينارَ مَعنــىً مُنَــزَّهٌ ... عــنِ العــارِ بــالإشراكِ بالوثَنيــة

وقــد بَلّــغَ الإنــذارَ عنــيَ مَــن بَغــى ... وقامــتْ بيَ الأعــذارُ في كــلِّ فِرْقــة

ومــا زاغــتِ الأبــصارُ مــن كــلِّ مِلّــةٍ ... ومــا زاغــتِ الأفكــارُ مــن كــلِّ نِحلــة

وما اختارَ مَن للشّمس عن غِـرّةٍ صبَا ... وإشراقُهــا مِــن نــورِ إسْــفارِ غُــرّتي

وإن عبدَ النّــارَ المَجــوسُ ومــا انطفَــت ... كــما جــاءَ في الاخبــارِ في ألــفِ حِجَّــة

فما قَصَدُوا غــيري وإن كــان قــصدهُم ... سِــوايَ وإن لم يُظْهِــروا عَقــدَ نِيّــة

رأوْا ضَــوْءَ نــوري مــرّةً فتَوَهَّمُــو ... هُ نــاراً فَــضَلّوا في الهُــدَى بالأشِــعَّة

واعلم أن الأمر ليس كما تدّعي من القول التسليم لكل أحد حالـه سـواء عبـد النار أو الأصنام ، أو غيرها وحاشاه مما رميته به مـن الوصـمة الـشنيعة ، بـلى إن المـراد التسليم لله في جميع أفعاله فالتسليم هاهنا إنـما مـصدره شـهود الفعـل مـن الله ، لا مـن الخلق يقول: أشهد ذاكرًا بالعلم الصحيح أن الفعل لله، وإذا شهدت ذلـك فـسلّم لله في فعله، ولا تنكره على من قام به بالعصبية ، بل إذا أمرك بإنكاره من حيث شـهود الخلـق فأنكره بأمره ، فإنه لم يخلق شيئًا سُدى كما قال :

منتدى سور الأزبكية https://twitter.com/SourAlAzbakya

فــلا عبــث والخلــق لم يُخلقــوا سُــدى ... وإن لم تكــن أفعــالهم بالــسديدة

وكما قال :

فــلا تــك بــاللاهي عــن الله وجملــه ... فهــزل الملاهــي جــد نفــس تمنَّــت

وإياك والإعراض عن كل صورة مموهة ، أو حالة مستحيلة، ثم ضرب لك مثلًا بخيال الظل ، وانتهى إلى ما هو نتيجة المطلوب منه فقال:

وكُلُّ الذي شاهدْتُهُ فِعْلُ واحِدٍ   بمُفْرَدِهِ لكن بحُجْبِ الأكِنّة
إذا ما أزال الستر لم تر غيره   ولم يبق بالأشكال إشكال ريبة
وحققت عند الكشف أن بنوره   اهتديت إلى أفعال له بالدجنة

فاعتبر في بلاغة هذا الأستاذ الحكيم في كلامه، وجمعه بين الحقيقة والخيال في ضربه المثل في هذه الأبيات ، فوالله إنها لتكاد تُرقص من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، في حضرة هذا الخيال الدّال على الحقيقة والتوحيد الذي، لا يغمره شرك، ولا يطفئ نوره ظلمة ، فرحم الله هاتيك الروح اللطيفة ، ما أرق معناها وألطف نعماها ثم إنه ﷺ على قاعدة ما ضربه من المثل فقال :

كذا كنت ما بيني وبينك مسهلا   حجاب التباس النفس في نور ظلمة

ثم أبان بعد ذلك بلاغة كلامه كما بينا بقوله:

قرنت بجدي هزل ذاك مقربًا   لفهمك غايات المرامي البعيدة

فقوله: وإن لم تكن أفعالهم بالسديدة على تمام علمه وصحة كشفه وحفظ عقيدة الإسلام عليه ، فالله أسأل بحق محمد وآله إن كنت مفتريًا عليه فيما تقول ولم تخلد إلى توبة نصوح أن يرسل عليك صاعقة من السماء تسحقك وتمحقك حتى تستريح البلاد والعِباد، وما ذلك على الله بعزيز ، وكيف يكون ذلك منه وهو أجلُّ النسّاك الورعين في

محاسبة أنفاسه على اللحظة والخطرة، فضلًا عن الكلام؟

ومن أين أخذت ذلك من كلامه ، وليس فيه ما يقتضي شيئًا من ذلك، ولا ما يحوم حوله ولا ما يومئ إليه؟

وها نحن نبين كلامه إن شاء الله تعالى على وجه يحل به لغزه ويتضح به أمره، حتى يتبين لك أنه الحق من ربك فنقول:

اعلم أن الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون ظهور الوجود بصورة التضاد ليظهر تمام معرفة الحق سبحانه لعبده بجميع أسمائه، إذ لم يخلقهم إلا ليتعرف إليهم، فيعرفه أولو العلم الشهودي تدليًا، ويستدل عليه أهل الذكر السائرون إليه بالفكر بآثارها ترقيًا، ويتقدم الإمام أمة وسطًا، ويجبر ما صدر من سهو المعتدين المقيدين على الإطلاق غلطًا، فإذا غفر الزلل فجيء على خير العمل، وليظهر تمام ظهور الكمال القائم بحقيقة كل اسم ومنتهاه، والاسم الظاهر مبتداه، وهوأحد العلل لذلك، فافهم.

وليحصل تمام معرفة مراتب الحقائق الكلية بتضادها وتباينها وتقابلها كالعافية والسقم والصحة، والألم، والنفع والضرر والخير والشر، إلى غير ذلك لما تقتضيه حكمة التضاد من كمال بيان حقائق الأسماء والصفات الأفعالية المتقابلة كالهادي والمضل؛ ليعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا؛ وهو من أسرار حرف الميم التمامي، وهو من إطلاق ختم الرحمية الإحاطية، وهو من أسرار الكمال الذاتي، وهو النفيس التام من كرب البطون والقَدم بظهور العَالم والقِدم، فلا شيء يظهر إلا ومصدره اسم المحيي منه يظهر وإليه يرجع ، وبه يقوم وفيه يدوم ، فكل ما ظهر في الأبد فعن حقائق حضرة الأزل، بذلك كان التعارف والتناكر المتفرع عنهما الائتلاف

والاختلاف، «فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»[١]، وبمقتضى ذلك حصل الإيمان والكفر ، فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك؛ ولذلك خلقهم، ومن ذلك اختلاف الكلمة في خلق الحق سبحانه، فمن قائل يخلق أفعال الخير ولا يخلق أفعال الشر، ومن قائل بوجود إلهين، أحدهما يخلق الخير، والآخر يخلق الشر، ومن قائل بأنه خلق الخلق وهم يخلقون أفعالهم ، ومن قائل بأنه خالق كل شيء وهو الحق إلا أنهم إذا رأوا ما ينافر طباعهم أنكروه واستكرهوه، وهم قسمان :

قسم غلب عليهم ناموس الحق، فكرهوه بعلم وأنكروه بفهم، فلم يضرهم ذلك، بل كان زيادة لهم في العلم بالله والمعرفة بمراتب الحقائق الأسمائية الإلهية، والحكمة الربَّانية والمشي على صراط العدل المستقيم، والدين القيم القويم في مقام كمال العبودية، إذ هم موفوه حقَّه، محبوه من حيث الحقيقة، ونكرهم له إنما هو بأمر إلهي كالفواحش المنهي عنها، أو من حيث الطبيعة- المراد بالطبيعة- ما انطبع في البشر وطبع عليه بأصل الفطرة، فافهم لغرضٍ يُنافي سلامة الفطرة وطهارتها لما يقتضيه سلطان بعض الأسماء الإلهية وإحاطته، وقهره وظهور حكمه في سره وجهره بالنسبة إلى ذلك المحل كقوله عليه الصلاة والسلام: «البصل والكرات شجرتان أكره ريحهما»[٢]،

لم يقل: أكرههما، إذ الشيء لا يكره لذاته، وإنما يكره لمنافرته سلامة الفطرة، كما علَّل عليه الصلاة والسلام النهي عن قرب المسجد؛ بأن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، فافهم.

---

(١) روى البخاري (٨١٥)، ومسلم (٥٦٤).
(٢)

وقسم غلب عليهم شيطان الطبع ، فكرهوه لمنافرته الطبع البشري سواء كان ذلك حقًّا في نفسه، أو لم يكن؛ إذ هم غافلون عن رؤية الحق هنالك ومراقبته ومراجعته بالذكر والفكر عن محاسبة النفس على الإنكار والكراهية لذلك الشيء، بل إنما هو لمجرد غرضٍ قام في أنفسهم، وعلى هذا أكثر الناس وهم الأقل، فيكفرون تفصيلًا بما آمنوا به إجمالًا، إذ قد سبق عندهم من العلم أن الله خالق كل شيء، وكان مقتضى ذلك أن يتحققوا بسريان الكمال، ووجوده في كل شيء، فإن نسبة النقص إليه تعالى في فعله محال، إذ وجود النقص بالنسبة إلى إيجاده سبحانه وله الحمد كمال؛ لأن فقده من الكون نقص في الوجود، وبه تتم لنا معرفة الكمال، كما قال الشاعر:

وبضدها تتبين الأشياء

فهو كمال الكمال، وهاهنا دقيقة ترشد إلى حقيقة السالك الناظر في مواطن ظهوره يتروى بها الشارب من منهلٍ صافٍ، فيستظل تحتها القائل في ظلٍ شافٍ، فيتحقق أن الكمال في أي حقيقة بضديه غير متناهٍ في الزيادة، فإن كل ضد هو كمال بضده ولضده على ما تقرر، ويتسلسل دورة إلى ما لا يتناهى وهذا وجه، والأمر فوق ذلك بما لا يتناهى، فاجهد.

وقد تقدم أن جميع الحقائق الكونية والكائنية ظهرت بصورة التضاد؛ فدقق النظر وتأمل على أن كل حادث يلزمه النقص من ذاته ضرورة، والكمال بغيره وهو الواجب الوجود حتمًا؛ إذ الكمال لله والحمد لله وحده لا شريك له.

وإن أضيف إلى شيء، فإنما هو بتخصيصه وإشراقه وفيض نور من أنوار قدسه فهو له وحده لا شريك له، والتوحيد أجلُّ الكمال والحمد؛ فهو الموحد لنفسه بنفسه

وتوحيد من ينطق عن نعته عارية أبطلها الواحد، فمن وحد فقد ألحد، وكل من وحده جاحدًا عودًا على بدء .

ولنرجع فنقول: والكامل لا ينكر ولا يكره لذاته ولا من حيث ما هو كامل ولا نقص، ثم الاثنينية لوجود التضاد بين الحقائق التي اقتضتها الحكمة الإلهية إذ لا يعتبر النقص إلا من حيث ما تقتضيه حقيقة المكلف باعتبار الزمان والمكان والحال أو شيء منها، حتى لو زال ذلك المعنى لارتفع ذلك الحكم ولم يبق ثمّ نقص إلا من الطبع لمعنى قام بذي الطبع أيضًا حتى لو ارتفع لزال مع هذا، فقد ظهر الكمال في عين النقص كما تقرر، ثم إذا أمرنا بكراهيته وأنكرناه وكرهناه من حيث الأمر المشروع لنا، فلا نكر علينا، فإن ذلك بحكمه والله يحكم لا معقب لحكمه.

وحينئذٍ فكمال ذلك الشيء أن يكون ظاهرًا بالوصف المخلوق فيه المنافر للطبع البشري، المنافي للمحبة ليكره من حيثيته لا من هو مظهر الكمال في عين النقص ، فما ثمّ إلا كمال، أي بالنسبة إلى حقائق الأشياء في نفسها، فتحقق! فلم يكونوا هؤلاء على مقتضى العلم السابق لهم، حتى يؤمنوا بالحق في كل شيء، بل كفر بعضهم بإيمان بعض تفصيلاً بعد اتفاقهم في الإيمان إجمالاً، كما اتفقت كافّة الخلق على الإيمان بالله إجمالاً، واختلفوا في معرفته وسبيل القصد إليه تفصيلاً، وكان في ذلك كفر بظهور سلطان بعض الأسماء من حيث لا يشعرون، وإيمان بظهور البعض فهو قول أحد المخالفين المبطلين فتأمل.

ومن وجود الاختلاف قامت كلمة الإنكار بالعصبية بحسب الأهواء، تفرق الكلمة فلهذا قال ﷺ : فلا تعد في الإنكار بالعصبية ، بل إذ أنكرت فتحقق.

يقول الله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٥، ١١٦، ١١٧] فافهم.

ولما اقتضى الكمال الذاتي، والحكمة الإلهية ظهور الوجود بصورة التضاد على ما قررنا، وكان الإنسان كفورًا، وظلومًا جهولاً يشهد النقص ويحكم به في الأشياء المستكرهة له والمستنكرة لطباعه، حسبما تسول له نفسه، ويخيِّل له شيطانه وطبعه، ويتوهمه عقله وتجري عليه عادته، وأُلفه، وكان في ذلك تطرق لنسبة النقص إلى الموجد وهي إساءة أدب، وكفر بالله ورسله وقد مُنع من إضافة ما ينقص ويحتقر ويذم شرعًا وعقلًا وطبعًا إلى الله تعالى، ومن نسبته إليه سبحانه، رحمة بعبادة لئلا يقعوا في الكفر بالكمال الإلهي مداواة من الداء بالداء كما قيل(١):

تَداوَيتُ مِن لَيلى بِلَيلى مِنَ الهَوى كَما يَتَداوى شارِبُ الخَمرِ بِالخَمرِ

فافهم، فلا يقال خالق القرد والخنزير إلا على جهة البيان للحكم لضرورة الاحتياج إلى ذلك: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٧٣] ولكي يجري عليهم الحدود الشرعية التي اقتضتها الحكمة الربّانية بما يقترفوه من السيئات تمحيصًا لذنوبهم، وإعطاء للحقائق الأسمائية حقّها، وإجزاءً لهم على مقتضى الطبع البشري المقسور تحت علة الوهم بالقسر الإلهي، حتى يكونوا في حال بشريتهم عاملين أمناء قائمين بالقسط، فضلاء حائزين السبق جائرين نار الطبيعة على

---

(١) البيت لقيس بن ذريح (١).

الحد الأوسط صراط العدل المستقيم، ولما كان في المنع من الإضافة والنسب تطرق إلى الكفر بخلق الله تعالى لبعض الأشياء، وبعض أفعال العباد من كل مكروه وذميم عقلاً وشرعًا وطبعًا عند القاصرين عن رتبة كمال الفهم عن الحق تعالى مراده في ذلك من وجه خاص، فإن مراد الله تعالى لا يحيط به أحد سواه، أبان لهم أن كل موجود مخلوق له يقوله سبحانه: ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان :٢].

وقال: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨].

وقال: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦].

وقال: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود:١٢٣].

وقال: ﴿للهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الشورى:٤٩].

وقال: ﴿إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [المائدة:٤٨].

وقال: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وقال: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:٨٣].

ولما كان في ذلك تعارض عند الجاهل بالمعرفة الفاقد لذوق الحقائق من رموز الإشارة في طي العبارة بالإيماء الساحر للعقول السليمة إلى المقاصد الجليلة والوجوه الجملية، والمراتب الشريفة وأبكار المعارف الكريمة، واعتراض عند الكافر بتمام الإيمان، والكافر بتمام الشيء كافر به، فافهم.

وكان فيه بحث تطلع واستشراف لأرباب النفوس الفكرية الطبيعية من الذين آمنوا لكشف ذلك بالتوفيق، وتفصيله بما يوجب الجمع على التحقيق لما فيه من المعارضة الظاهرة عند أرباب الحجاب، وأهل الغفلة والقسوة والشرك والشك والارتياب، ردَّهم الحق تعالى إلى العلم بما سبق تقريره أولاً ببيان حكم إجمالي؛ حتى يكونوا واقفين عند الإيمان بالغيب، والتطلع إلى تفصيله، وكشف عنهم ما هم فيه مكاشفًا لهم بقوله -جل وعلا-: ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣]، وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٧].

وقال: ﴿وَاللهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد:٤١]، ونحو ذلك بقاءً لإيمان من آمن وتتميمًا له ورفعًا للمعارضة وجمعًا بين حقائق الدلائل وكشفًا لمن اجترأ عليه بوجوه الاعتراض، وتعريفًا للجاهل لينفتق ذوقه وتنفتح عين بصيرته ويتجلى نور الإيمان في قلبه فيجلي ظلمة الجهل عن سريرته، فيرى بعد سلوكه طريق الاتباع بنور الإيمان، ووصوله إلى الحضرة الجامعة لحضرات الأسماء جمعًا تفصيليًا بالنور الإلهي والتأييد الربّاني، والثبوت الاعتصامي أن العالم صادر عن الأسماء الإلهية وتوجهها لظهوره، وليس إلا آثارها فيتخلص من وصمة التعطيل ويغتني في ردِّ الشبهة عن الدليل والتعليل، ويتحقق بالفناء المتقدم بيانه، المشار إليه بقوله:

«**وما تقرَّب إليَّ أحد بمثل ما افترضته عليه**»، وهو يرد الوجود إليه، «**ولا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل**» وهو ردُّ الصفات الذاتية والأفعالية إليه: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء:٥٨]، «**حتى أحبه**» وينزل منزل البقاء، ويستقر مقره السابق تبيانه، المشار إليه بقوله: «**إذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به...**» الحديث، وهو مقام الاتحاد الذي عناه الأستاذ ﷺ بقوله:

وجُلْ في فُنونِ الاتحادِ ولا تَحُدْ ... البيتين

أفادَ اتِّخاذي حُبَّها ..... البيت.

وقوله: ففي الصّحوِ بعد المَحْوِ لم أكُ غيرَها ... الأبيات.

فلو واحدا امسيْتَ اصبحْتَ واجِدا ... مُنازَلةً ما قُلتُهُ عن حقيقة

ولكنْ على الشّرْك الخفيّ عكفْتَ لو ... عرَفتَ بنَفسٍ عن هَدي الحق ضلّت

وفي حُبّهِ مَن عَزّ توحيدَ حِبّهِ ... فبالشّرْكِ يَصلى مِنهُ نارَ قَطيعةِ

وما شانَ هذا الشأنَ منكَ سوى السّوى ... ودعواهُ حقّاً عنك إن تُمحَ تثُبت

في إطلاق لفظ الاتحاد في جميع كلامه، على ما تقوله أنت وتتحكم عليه به في كلامه إلى أن يشير إلى ما قلنا من بيان المقصود فاربح أنت(١)، وقد ثبت لك التوحيد حالاً، ولو

---

(١) قال سيدي عبد الغني النابلسي: والحاصل أن جميع علماء الظاهر لا حق معهم في الطعن على القائلين بـ وحدة الوجود من المحققين العارفين القائلين بذلك على وجه الحق، والصواب كما ذكرنا.

وأما القائلون بوحدة الوجود من الجهلة الغافلين، والزنادقة الملحدين الزّاعمين بأن وجودهم المفروض المقدر هو بعينه وجود الله تعالى، وذواتهم المفروضة المقدرة هي بعينها ذات الله تعالى، وصفاته المفروضة المقدرة هي بعينها صفات الله تعالى، الذين يحتالون بذلك على إسقاط الأحكام الشرعية عنهم، وإبطال الملة المحمدية، وإزالة التكليف عن نفوسهم، فالطعن عليهم بسبب القول بوحدة الوجود على هذا المعنى الفاسد طعن صحيح.

وعلماء الظاهر يثابون بذلك كمال الثواب من الملك الوهاب، والعارفون المحققون معهم في هذا الطعن من غير خلاف.

وقد أشار إلي ذلك الشيخ عبد الكريم الجيلى -قدس الله سره- في كتابه المسمى « شرح الخلوة » في

=

=

أوائله من الوصايا حيث قال: يا أخي رحمك الله قد سافرت إلي أقصى البلاد، وعاشرت أصناف العباد، فما رأت عيني، ولا سمعت أُذني لبشر لا أقبح ولا أبعد، من جناب الله تعالى، من طائفة تدعي أنها من كُمل الصوفية، وتنسب نفسها إلى الكُمل، وتظهر بصورتهم، ومع هذا لا تؤمن بالله ورسله ولا باليوم الآخر، ولا تتقيد بالتكاليف الشرعية، وتقرر أحوال الرسل، وما جاءوا بوجه لا يرتضيه مَنْ في قلبه مثقال ذرة من الإيمان، فكيف من وصل إلى مراتب أهل الكشف والعيان، ورأينا منهم جماعة كثيرة من أكابرهم في بلاد أذربيجان وشروان، وجيلان، وخراسان لعن الله جميعهم فالله الله، لا تسكن في قرية فيها واحدًا من هذه الطائفة لقوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال : ٢٥].

وإن تيسر لك ذلك فاجهد ألا تراهم، ولا تجاورهم فكيف أن تعاشرهم وتخالطهم، وإن لم تفعل فما نصحت نفسك، والله الهادي. انتهى.

وكلامه هذا عن القائلين بـ وحدة الوجود، على حسب ما ذُكر من المعنى الفاسد، ولكن علماء الظاهر إذا ترقوا من الطعن في هؤلاء الرعاع السفلة المارقين من الدين مروق السهم من الرمية، إلى الطعن في هؤلاء السادة الأئمة العارفين المحققين بظنهم أنهم يقولون بـ وحدة الوجود، مثل قولهم كان ذلك أمرًا شنيعًا في الدين، لا يرضى به من يؤمن بالله واليوم الآخر.

فإن السادة الأئمة العارفين كتبهم ومصنفاتهم مشحونة بإثبات الوجود الحادث المفروض المقدر صريحًا وإشارة، والحكم بأنه غير الوجود القديم، وإن كانوا قائلين بـوحدة الوجود.

غير أنهم تارة يغلب عليهم شهود الوجود الحق، الحقيقي الذي به كل شيء موجود، فينفون ما عداه، ويقولون عما سواه أنه خيال، وأنه سراب، وأنه هالك، وأنه مضمحل زائل لا وجود له أصلاً.

وهم صادقون في ذلك كله، لأن كل ما سوى الحق تعالى إنما وجوده مفروض مقدر بالإجماع؛ لأنه مخلوق، والوجود المفروض المقدّر عدم صرف في نفسه، وإنما الوجود المحقق هو وجود الله تعالى وحده، الخالق أي : الفارض المقدر لكل شيء، أو الموجد بطريق الفرض والتقدير لكل شيء.

=

=

ولا يقال: لو كان كل شيء من هذه المخلوقات مفروضًا مقدر لما كان شوهدًا محسوسًا ومعقولاً ثابتًا موجودًا محققًا، لأنّا نقول فرض الله وتقديره لوجودات الأشياء في أعيانها ليس كَفَرضِنا نحن، وتقديرنا للشيء المعدوم، وقد جعل الله تعالى ما نفرضه ونقدره أنزل رتبة منا ليكون ذلك فينا مثالاً لما يفرضه الله تعالى ويقدره من وجودات الأشياء المعدومة، وأنها أنزل منه في الوجود، ولا يجوز الطعن على أحد من العارفين، وإن جهل الجاهل قولهم، فإن الجهل للشريعة والدين الحق، في مذهب ذلك الجاهل ليس يعذر، بل الواجب عليه التعلم عنده، فإذا حكمنا على الجاهل بما يرى في مذهبه حكمنا بكفره، حيث أنكر ما هو الحق على أهل الحق ، وإن لم يعلم بمعنى ما أنكره، وأقل الإثم والمعصية في ذلك كما قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء:٣٦].

ومن الواجب على المؤمن أن يحمل أخاه المؤمن على الكمال حسبما أمكن، لا سيما في الحق أهل المعارف، والحقائق، والعلوم الإلهية، فإنهم أولياء الله تعالى، ومعاداة أولياء الله تعالى معاداة لله تعالى، ومعاداة الله تعالى كفرٌ لا محالة.

كما قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُواً لله وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة :٩٨].

والجاهل هو الذي لا يعرف علوم الأذواق، وإنما علمه الذي هو غير عامل به أيضًا مأخوذ من الكتب والأوراق، له مندوحة عن الإنكار وهو تحسين الظن بأهل الله تعالى، والاعتراف بأنهم أعلم منه بالله تعالى، وإنه جاهل بكلامهم، فلا ضرورة للإنكار عليهم مع علمه بكفر من أنكر الحق إجماعًا.

ولو أردنا أن نستدل على ثبوت وحدة الوجود بالمعنى الصحيح الذي ذكرناه لطال الكلام في ذلك بإيراد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وكلام العلماء السادة المحققين من أهل الظاهر والباطن، ولكن قصدنا الاختصار، وفيما ذكرناه كفاية.

وقد وقعت للمتأخرين من العلماء على رسائل كثيرة في بيان وحدة الوجود، والاستدلال على صحة

=

لم يكن الأمر على ما بينت لك لكان قوله -رضي الله عنه- من أتم الروايتين إشارة تنزّه عن رأي الحلول عقيدتي معارضًا، ومناقضًا لذلك، لكنه بيان وتحقيق للمراد من الاتحاد؛ إذ لا وجود لمعناه الحقيقي في الخارج أصلاً وهو مُحالٌ ضرورة ،ولا المجازي الذي هو بمعنى الحصول لما ثبت وتقرر من الدليل القطعي قولاً ونصّاو فلا يقول به إلا جاهل أو معتوه، غير مميز أصلاً، ولكان بيانه للطريق إلى ذلك بقوله:

فجاهدْ تُشاهدْ فيكَ منكَ وراءَ ما مُنازَلةً ما قُلتُهُ عن حقيقة

وقوله:

فخَلِّ لها خلّي مُرادَكَ مُعْطِياً قيادَكَ مِن نَفسٍ بها مُطمئِنّةِ

=

القول بها، وإطالة الكلام بتحقيق هذا المرام.

وأنا أرجو أن من يتحقق بما حررناه في هذه العُجالة من فتوح الوقت أن يفهم المقصود من عبارات علماء الظاهر وعلماء الباطن في هذه المسألة، فإنها أصل عظيم من أصول سالكي التوحيد الذي بنيت عليه جميع أعمال المخلصين ما عدا ذلك فالشرك الخفي الذي هو مبنى أعمال الغافلين.

ولهذا نقل العارف المحقق الشيخ «أحمد القشاش المدني -رحمه الله تعالى- في رسالته في وحدةالوجود عن ابن كمال باشا -رحمه الله تعالى- ومن خطه نقل كما صرح: إنه يجب على ولي الأمر أن يحمل الناس على القول بـ وحدة الوجود، انتهى

وتقديره: أن يحمل الناس على التوحيد الخالص من الشرك الخفي الذي أشار إليه الشيخ العارف «أرسلان» ﷺ في أول رسالته بقوله:

«كُلُّكَ شرك خفي، ولا يبين لك توحيدك إلا إذا خرجت عنك». انظر: إيضاح المقصود ضمن كتابنا: «إرشاد ذوي العقول على براءة الصوفية من الاتحاد والحلول» طبع دار الآثار الإسلامية.

إلى قوله:

بِـذَاك جَـرَى شَرْطُ الهـوى بـينَ أهلِـهِ وطائفـةٌ بالعَهْـدِ أوفَـتْ فوَفَّـت

إلى آخر الأبيات المبينة لطريق السلوك إلى المعرفة بالله، مغالطة وتستيرًا أو عبثًا وكذبًا، والأصل خلاف ذلك كله وحمل كلام العلماء العاملين الأمناء العارفين على التوفيق والسداد وتحقق بذلك أهل الذوق المعترفون بالحق الحائدون عن هوى النفس، الموفقون بتوفيق الله عز وجل، ومن ذلك معنى قوله ﷺ:

فَلَـمْ تَهْـوَني مـا لم تكـنْ فيَّ فانِيًـا ولم تَفنَ ما لا تُجْتَلَى فيكَ صـورتي

وسائر الأبيات التي تشير إلى معنى الجمع والاتحاد.

وقد ضرب الغزالي ﷺ لذلك مثلًا وهو تجلي الصورة في المرآة من غير انتقال ولا حلول ولا اتحاد حقيقة ويتفرع عن ذلك نحو قوله:

لهـا صَـلَواتي بالمَقـامِ أُقِيمُهـا وأشـهَدُ فيهـا أنّهـا لِيَ صَـلَّتِ

وكل ما أعرب عن الحقيقة بلسان الجمع، فافهم.

والحق سبحانه إذا تجلى للولي العارف في وجوده، فكان سمعه وبصره ولسانه ويده صحَّ له أن يقول:

وما عَقَـدَ الزّنّـارَ حُكمـاً سوى يـدي وإنْ حُلّ بـالإقرارِ بي فهْـيَ حلّـت

من غير زيغ ولا زلل ولا اختلال في عقيدة، إذ هو ناطق عن الفاعل المختار بلسان الجمع المتقدم بيانه والعالم بكماله مظاهر أسمائه وصفاته الأفعالية الذاتية، ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد، وكذلك وإن أنار بالتنزيل محراب مسجد، فأنار بالإنجيل

هيكل بيعة، إذ الكل مظاهر أسمائه فلا تعطيل لحكم من أحكامها أصلاً وأبدًا، وكذلك:

وإن خَرّ للأحجارِ في البُدّ عاكِفٌ فلا وجْهَ للإنكارِ بالعصَبِيّة

وقد تقدم التعرض له ببيان قيد بالعصبية فقيّد، ولم يطلق حتى كان يقع عليه الإنكار من وجه التقرير الشرعي.

ألا ترى إلى قوله ﷺ :

وقد بَلّغَ الإنذارَ عنيَ مَن بَغى وقامتْ بيَ الأعذارُ في كلّ فِرْقة

يعني: فلا فائدة في الإنكار بالعصبية إذ كلهم تحت قهر المشيئة، ولا فائدة لعناء المنذر بعد بلوغ إنذار أكمل الرسل، وإقامة العذر بقوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٩٩] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [النحل:٣٩] ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:١١٢]، والمراد عدم إشغال البال وإتعاب الخاطر بذلك، وإن كانت الآية نُسخت بآية السيف فنحن لا نمنع المؤمن من أن يقاتل الكافر الحربي على دين الكفر وينذره سببه من وعيد الله له في الدنيا والآخرة، ولكن نريد أن يكون مع ذلك مطمئن القلب في نفسه بالعلم بأن ذلك من مشيئة الله به غير حَنِق ولا حَرِج في نفسه؛ فإنه لا يكون إلا ما يشاء، وهذا كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦] فافهم.

ويؤيد ذلك قوله ﷺ عقب هذا البيت:

فقد عَبَدَ الدّينارَ مَعنىً مُنَزَّهٌ عنِ العارِ بالإشراكِ بالوثَنية

يُشير إلى قوله ﷺ: «تعس عبد الدينار»(١).

وقوله ﷺ وعلى آله: «لكل أمة عِجل وعِجل أمتي الدينار والدرهم»(٢).

مؤكدًا لما أبناه من مراده من حيث العصبية فتبين، والله المبيِّن.

ومن ذلك قوله:

وما زاغتِ الأبصارُ من كلّ مِلّةٍ

والله لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، وقد بيّن قوله:

وما اختارَ مَن للشّمس عن غِرّةٍ صبًا   وإشراقُها مِن نورِ إسْفارِ غُرّتي

بقوله: (وإشراقُها مِن نورِ إسْفارِ غُرّتي) على ما سبق بيانه إذ لا إشراق لها من نفسها ولا نور، والمراد بالإسفار: الكشف، والغرة: لمحة من لمحات نور وجه الله الذي أشرقت به السماوات والأرض، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١١٥].

يعني : ما احتار، والحال أن إشراقها من نور وجه الله فقيد نفي الحيرة بهذه الحال، ولم يقل ما احتار مطلقًا، أو قد لحقته الحيرة من وجوه كثيرة غيرها، وهي أنه قيد الحق بالصورة، ولم ينتقل من الأثر للمؤثر، ولا من الظاهر للباطن، ولا رجع إلى القانون العقلي من أن الحق الخالق لا يتقيد بالصورة فشبّه، ولم يرجع إلى التنزيه وعمي عن رؤية الحق قائمًا بنفسه غير مفتقر إلى صورة تقوم به إلى غير ذلك، فافهم إن كنت من

---

(١) رواه البخاري (٢٦٧٣).

(٢) ذكره الهندي في الكنز (٣/ ٣٢٣)، وعزاه للديلمي.

أهل الفهم، وإلا فأنت المخاطب بعد هذا التادين بسلام.

ومن ذلك قوله:

وإن عبدَ النَّـارَ المَجوسُ ومـا انطفَـت كـما جـاءَ في الاخبـارِ في ألـفِ حِجَّـة

بدليل تبيانه قوله:

فما قَصَدُوا غـيري وإن كـان قـصدهُم سِـــوايَ وإن لم يُظْهِـــروا عَقــدَ نِيّــة

ثم أقام شاهد هذه الدعوى كما سبق في البيت الأول بقوله:

رأوْا ضَـــوْءَ نـــوري مـــرّةً فَتَوَهَّمُـــو هُ نـــاراً فَـــضَلّوا في الهُـــدَى بالأشـــعَّة

لأنهم لما تحققوا بطريق من العلم أن الله تجلى لبعض أنبيائه في صورة النار وجعل بها هداة إليه، وأنه هو المهيمن على كليات العناصر، وشاهدوا قيام عالم المكون بها أعني بالعناصر، فإن أزالها أي: للنار السلطان على عالم الكون والفساد بما أعطتهم عقولهم من الدليل، وتحققوا بشرف هذا النبي على من تقدم، وما خصّ به من التكليم، فأعطاهم كل ذلك العلم بأن النار أجلُّ صور الحق فعبدُوها فَضَلوا، ولا بدع أن يكون الشيء نورًا لقوم وظلمة لآخرين، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا﴾ [الإسراء:٨٢].

قال: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت:٤٤]، وإلى ذلك أشار ﷺ بقوله:

فَضَلّوا في الهُدَى بالأشعَّة

تبين هذا قد أطبقت جميع الطوائف من أهل الملل والنحل الداخلين في عموم قوله

تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]، على أن الله تعالى هو الإله المعبود الحق إلا أنهم اختلفوا في طريق معرفته، فمنهم من عرفه لمّا تعرف إليه بالتنكير في صورة الإضلال بتجلي الاسم المضل فضلّ وجهل أيضًا.

وإلى ذلك أشار ﷺ بقوله:

فَضَلّوا في الهُدَى بالأشعَّة .. فتبين.

ومنهم من عرفه لما تعرف إليه بالهداية بتجلي اسمه الهادي، فاهتدى بقول الله تعالى حكاية عن كفار قريش: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:٣]، وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ [العنكبوت:٦١]، فأين الإشكال في قوله:

فما قَصَدُوا غيري

إذ في اعتقادهم أن الله الذي خلقهم هو معبودهم الحق، فهو مقصودهم بالعبادة في الاعتقاد والنية بالقلب، وإن كان قصدهم غيره تعالى في التوجه والفعل بالصورة لتقيدهم بها؛ فوقع الخطأ منهم في المعرفة فأخطأوا في القصد لخطئهم في المعرفة بالتقيد فقصدوا غيره، وإن كان قصدهم الحق، وإن لم يظهروا عقد نية لما قررناه، وأنت تفهم ذلك إذا تأملت من قوله:

رأوْا ضَوْءَ نوري مرّةً فتَوَهَّمُو ... البيت.

فأين من يفهم؟! أين من يتحقق؟! أين من يتصف؟! أين من ينصف؟!

ألا ترى إلى قوله ﷺ عقب ذلك:

عـلى سِـمَةِ الاسـماءِ تَجـري أمـورُهُمْ وحِكْمَةُ وصْف الذاتِ للحكـم أجـرَت

يُـصَرِّفُهُمْ في القبـضَتَيْنِ ولا ولا فقَبْـضَةُ تَنْعِـيمٍ وقَبْـضَةُ شِـقْوَة

فلم لا عاينت المقصود من كلامه وتحققت ما بينَّاه لك في بديع نظامه، فإن حاصل ما ذكرناه موجود فيه على أن ورود الأسماء المتقابلة كالمضل والهادي كافٍ في بيان ذلك لصاحب التبصرة والتذكرة، فتبصر وتذكر، والله ولي التوفيق.

وإذا تحققت ذلك علمت أن مراده بجميع ذلك ضرب مثل لكل حقيقة ضلال تقابلها حقيقة هدى لا تخصيص هذه الطوائف بتلك الأحكام، فافهم.

ولم خصص بهذه الأمثال دوري فلأنها أظهر وأبين، فتأمل.

فإن قلت: فما الذي حمله على ذلك؟، وكان يمكنه أن يعبر بعبارة يسهل تناولها على الجاهل بالحقائق مثلي؟

قلت: هذا يكون لمن هو متصرف بنفسه، وأما من كان يحكم ما تجلى له، وعليه من قبل النور الإلهي فلا يمكنه أن يأتي إلا بما تجلى له في صورة العبارة من غير نقص ولا زيادة، إذ هو فانٍ بما يتجلى له، باقٍ به، وقد نبهنا على ذلك بلسان الظاهر فيما سبق بقولنا: فإن الإنسان إذا أراد أن يبين حقيقة ما في نفسه... إلخ فتنبه هذا، وهو المتحقق بأن أهل الهداية لا يكونون إلا مهتدين، وأهل الغواية لا يكونون إلا غاوين: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود:١١٩] فقد ضلّ في فهم كلام الله وكلام رسوله كثيرون، واهتدى آخرون، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢].

وقال: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت:٤٤]، لا يسمع وإن سمع فغمغمة أو سماع غلط و﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾ [الزمر:٢٣] فافهم فما الفائدة في العناء، كأنك تقول: أخبر القصد والنية والثواب عليها.

أقول: هو حاصل بذلك أيضًا، فتبين.

وأراك يا هذا لا تميل إلا للشرك، وكأنك تريد من الشرك الذي به تدين ربك فأين أنت من قوله:

ولـو خطَـرَت لي في سِـواكِ إرادةٌ ... عـلى خـاطري سَـهواً قـضيتُ بِـرِدَّتي
وأيـنَ الـسُّهى مِـن أكمَـهٍ عـن مُـرادِهِ ... سَـهَا عَمَهـاً لكـن أمانيـكَ غَـرَّتِ

وأين أنت من قوله:

ولو كنتَ بي مِن نُقطَةِ الباء خَفضَةً ... رُفِعـتَ إلى مـا لم تَنَلـهُ بِحيلَـةِ يلـه
بحيـثُ تُرى أن لا تَـرى مـا عَدَدتَـهُ ... وأَنَّ الَّـذي أعدَدتَـهُ غـيرُ عُـدَّةِ

اعلم يا هذا أن هؤلاء القوم لا يتحركون إلا بما يجريه الحق تعالى عليهم من غير حجاب يسترهم به عن شهود الجريان من قِبله، ولا كشف يشهدهم فعل أنفسهم من حيث إنها صادرة عنها كما يقع في اعتقاد بعض المخالفين لمذهب أهل الحق، وكما يقع في شهود الغافلين، وإن سبق غفلتهم العلم نعوذ الله من الشرك كله، إنا لله وإنا إليه راجعون.

ومن كان بقاؤه بالحق أنّى يتحرك بإرادة نفسه، فتخل عن هذا الكلام؛ فإنه لا

أنت من ذاك القبيل ولا أنا، ألم تعلم يا هذا أن حسنات الأبرار سيئات المقربين، انظر إلى أبي بكر الشبلي- قدس الله سره العزيز- حيث صرخ ووقع مغشيًا عليه لما سمع القارئ يقرأ: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ [آل عمران:١٥٢] ثم أفاق، فقال: فأين من يريد الله؟

وهذا حال من استقطعته أحكام الجذبة بيد الوحدة كما حكى الأستاذ أبو محمد الجريري -قدس الله سره العزيز- قال: كنت بمدينة الرسول ﷺ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، فانكشف البدر ليلة الجمعة فخرجت، انظر إليه فرأيت مكتوبًا عليه: أنا وحدي، فوقعت مغشيًا عليّ، وأقمت ثلاثة أيام، فأنى لمثل هذا باختيار في قول أو فعل، إن هؤلاء لمستهلكون في وحدة الحق، لا يشاهدون وجودًا معه، ولا يشهدون شيئًا سواه، ومثل هذه الحالة بل وأحرّ منها وإن اشتهرت عن هذا الأستاذ الدليل إلى الله تعالى فقاتل الله من تتعصب عليه ظلمًا وعدوانًا وقتله بحد سيفه بمحمد وآله.

هذه رابعة العدوية تقول: «وعزتك ما عبدتك خوفًا من نارك، ولا رغبة في جنتك بل كرامة لوجهك الكريم ومحبة فيك».

وهكذا يقول الله بيانًا لهذه الطريقة وكشفًا لهذه الحقيقة: «لو لم أخلق جنة ولا نارًا لم أكن أهلًا لأن أعبد»؛ ولهذا كان يلقبها الإمام حجة الإسلام الغزالي ﷺ بالصديقة الصغرى- قدس الله روحها- وهذه خصوصية من الله لعباده المقربين، ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥]، هذا آخر ما انتهى إليه العارض لسقي عهد ابن الفارض، فكفاك ما عرضت به إلى هذا الإمام العظيم والصفي الكريم، والولي الحميم، فارجع عن هذا الهذيان والهوس، واستعذ بالله من الجنون كفاك الله شرّ نفسك، وأعرض عن هذا الحظ الدنيء، والحظ من الحق العلي، ودع هذه التعقيبات

التي لا تفيدك إلا صورًا مقلوبة غير مقبولة تضر ولا تنفع، وتدفع ولا تشفع ، وماذا عليك إن أظهر الإنسان نفسه أو أخفاها، وما عساك أن تفهم من قصده (الخفاء عنك)، أتظنه خوفًا منك أو إشفاقًا؟

بل يحتمل أن يكون هذا الرجل ممن أنعم الله عليه بنعمة الخمول، وستره بين خلقه فأبى أن يظهر نفسه باختيار منه، دون إذنٍ ربّاني له في ذلك، أو أنه لم يرد منه إلا ما كتب إليك من غير زيادة ولا نقص فهو لا يتعدى ما قدر له، أو أنه كره المجادلة معك والمجالدة إما شفقة عليك من نازلة تنزل بك، أو كره لسماع الخطاب من فيك أو بغضًا لرؤيتك حيث أنت الآن مبارز لله بالعداوة.

ولئن قلت: إنه ما فعله إلا خوفًا من أذاك وشرِّك، فلعمري ماذا عساك أن تكون صانعًا به، أتراك تقول كنت أكفره وأقيم عليه الحد، فما هذه القعقعة في مقارعة حواسك؟! وما هذه الصعصعة في مضارعة رأسك؟! وما هذه الوعوعة في مصادمة أنفاسك ؟! وهب أنك سلطت عليه تسليط الفراعنة يقول لك: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: ٧٢]، ولست تفارقها بكبير أمر، و [لا تهويل] بالباطل بعظيم خطر إلا عند المسحورين بالوهم، الذين يرونها أمرًا عظيمًا، وهي أقل من جناح بعوضة.

وأما قولك: وما أنكرت على من عنيته وحدي، بل تقدمني إلى مثل ذلك أئمة الهدى، وهم مشايخي ابن حجر، والقاياتي إلى آخره.

ابن حجر تقول فيه الآن أنه من مشايخك وبالأمس كنت تقول فيه ما تقول

بحضرة أُناس منهم عالمك ابن قريبة المحلي[1]، وإذا ذكر عليك في ذلك واستفهم منك عن ذلك استفهامًا إنكاريًا، وقال وليك ابن قريبة: حاشا لله، ومن قال إنكم قلتم هذا الكلام؟

قلت: أي أقول: الله يقطع يد الشيخ أبي الحسن الحرالي، قطع الله لسانك إن كنت قلته.

وقد نقل عنك أنك سببته وأنكرت عليه وفعلت ذلك في مجالس عديدة، ومما يضاف إلى ذلك تغليطك الشيخ الإمام العلّامة علاء الدين القلقشندي -رحمه الله تعالى- وافتريت عليه ونسبته لما لم يقع فيه،ولا يلزم التأويل من نقله لشيء أن يكون قابلًا به في نفس الأمر، وكذلك للشيخ جلال الدين المحلي في هذه المسألة، وكذلك قولك في حق شيخ الإسلام البلقيني[2] الذي قلته، وهو مضبوط عليك محفوظ، وله وقت فخف الله في نفسك وارجع وإلا قصمت.

---

(١) هو النور بن قريبة المحلي، كما في الضوء اللامع (٤ / ٤٥٩).

(٢) هو الإمام العلامة شيخ الإسلام الحافظ الفقيه ذو الفنون المجتهد سراج الدين أبو حفص عمر ابن رسلان بن نصير بن صالح بن شهاب بن عبد الخالق بن محمد بن مسافر الكناني الشافعي، ولد في ثاني شعبان سنة أربع وعشرين وسبعمائة، وسمع من ابن القماح وابن عبد الهادي وابن شاهد الجيش وآخرين، وأجاز له المزي والذهبي وخلق لا يحصون.

وأخذ الفقه عن ابن عدلان والتقي السبكي، والنحو عن أبي حيان وانتهت إليه رياسة المذهب والإفتاء، وولي قضاء الشام سنة تسع وستين عوضًا عن تاج الدين السبكي، فباشره دون السنة وولي تدريس الخشابية والتفسير بجامع ابن طولون والظاهرية وغير ذلك.

وألف في علم الحديث: محاسن الإصلاح، وتضمين ابن الصلاح، وله شرح على البخاري والترمذي وأشياء أُخر. مات في عاشر ذي القعدة سنة خمس وثمانمائة. انظر: طبقات الحفاظ (ص٥٤٢).

أقسم بالله أنك مقصم قريبًا إن لم ترجع عن هذا الفجور على أن القول المنسوب إليك في حق ابن حجر يشهد به قومٌ لهم عدالة بحيث لا يردهم حاكم شرعي، بل هم مقبولون عند كل أحد من الحكام، ولئن تحركت فها أقوام ناصبون لك بالدعوى عليك وإقامة التعزير اللائق بك فتحفظ، فإني والله لك ناصح ولئن كان لك عقل فأنت ترى حطي عليك شفقة بك، وافعل ما يقتضيه رأيك الناقص ثم إنك تقول فسلِّم أنت لهؤلاء إن كنت مسلمًا، فإنهم أئمة الهدى، وعنهم أخذنا العلم هنا أنت مجنون تسوق الناس كلهم مساقًا واحدًا، وتخاطب كل أحد بما تحكم به عليه في نفسك من غير تحقق به، ولا مراقبة خوف من قبله خشية أن يكون وليًّا لله تعالى عالمًا صالحًا فيمقتك الله بسببه، كأنك تظن أنك تخاطب ابن قريبة المحلي، والله إني لأشم فيك رائحة المقت تقول له: إن كنت مسلمًا وتزدريه إلى هذا المحل من الازدراء، وهو رجل آتاه الله من لدنه علمًا وخصّصه بالقرب منه والقربة لديه، هكذا أراه ولا أزكي على الله أحدًا.

وليت شعري ما معنى قولك له: (مسلمًا) أشككت في إسلامه ولم تعرفه هذا مع أن الرجل لم يعنِ شيئًا مما أنت فيه، حتى قال: إن هذا الرجل لأحمق فإني لم أذكر شيئًا من ذلك وهو يكلمني بهذا الكلام، وكان حقه أن يقول:أنا ما أنكرت على أحد من الأولياء، وكان هذا القدر كفاية في الجواب، وهو حق صحيح فما هذه التعاسة القائمة بك، والله لقد أتعبتنا في الذب عنك وأنت لاهٍ في عماك وعمهك، على أنه ليس لك عليّ حق إلا حق الأخوة في الإسلام فما هذه الرؤية لنفسك؟! ما هذا التعظيم القائم بك لها آلله قيد الكمال بوجودك أم جمع لك بين الحقائق في شهودك؟! أم خصصك بالفضل دون الخلق؟! أم حقق لك أن الباطل ما اشتمل عليه غيرك وإنك الحق؟! فقصمك الله إن كانت هذه محنتك وخصمك إن كانت هذه منحتك، وكفى الناس شرك وأخفى

جهرك، وأجهر سِرَّك، وما سَرَّك إن لم تتب وترجع بمحمد وآله، والله أسأل أن يتوب عليك ويشفي غليلك ويعافي عليلك من هذا الداء العضال بمحمد وآله الطيبين الطاهرين آمين.

وأما قولك عنهم: (أئمة الهدى) فإنا لا نعرف آية الهدى على الحقيقة إلا أصحاب رسول الله ﷺ ومن تابعهم واتبعهم من الأولياء الصالحين والعلماء العاملين، ومن سوى هؤلاء فإنما هم مقلدون، اللهم إن لا يراد أمر نسبي، وفيه ما فيه فإنك أطلقت في مقام الاحتجاج بقولهم في تكفير شخص مسلم معين، ليس لهم بحاله تحقق أصلًا إذ قد تخلقوا عنه بشيء كثير، وتكفير المسلم أمر صعب وخطر عظيم لا يكفي فيه إلا حجة بالغة من إمام مجتهد، وهؤلاء- والله أعلم- لم يصلوا إلى رتبة تمام التقليد؛ لأن المقلد التام هو الذي يعرف مراد إمامه في أي مسألة قصد العمل بها على مقتضى مذهبه، وإلا فهو مقلد نسبي لا حقيقي، والخلاف بين أهل كل مذهب في فهم كلام إمامه معروف فحاسب نفسك وانظر إلى مهملاتك، وإلى قولك، وإن كنت طالب علم جعل الله تعالى طالب العلم يأخذ روحك من بين جنبيك حتى يريح ولا تستريح إن أصررت على ضلالك، وتفيأت في اتباع الجهل أفياء ظلالك، ولو استحييت من الله لسكتَّ عن قولك وعنهم، وتعظم نفسك التي هي أحقر وأذل وأصغر من بعوضٍ، وتقول عليَّ ما صنيعك، وعنهم أخذنا العلم إليه والله تعالى يقول لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللهِ﴾ [الملك:٢٦] فتأدب وردَّ العلم إليه، وقل كما قال الملائكة الكرام: ﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢] والله إن وليي هذا وسيدي لما قرأ هذا المحل لقد تعجب من ضحك إبليس عليك، ومن استغراقك في وادي الحمق والجهالة.

ومن أعجب العجب أنـك ألكـن نـاطق، وأخـرس صـامت وتـنفخ شـدقيك بكلمات تظن أنك على نحو من البلاغة فتقتبس الآيـة مـن كتـاب الله تعـالى، وتقـول: نعرف كيف تكون في دين الله وتعلم أي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمـون ، وهـو قد علم ذلك من قبل أن يجري نهرك ويتحرك لسانك ويقوم ميزانك بفـضل الله عليـه، ولو سئلت أنت عن الأمن ما هو على الحقيقة لم تجد جوابًا، ولم تفتح فيـه بابًـا؛ فإنـك لم تشم له رائحة ، ومن أين لك أن تعلم أي الفريقين أحق بالأمن وقد أظهرنا جزوية أنك على ضلال مبين، مع ظنك أنك فيه على خلاف ذلك، ولأنت الذي لا يـدري مـن أيـن يُدخل عليه من قِبل النفس والشيطان فيسخراك ويسخرا بك، وأنت لا تشعر بنفسك ، فيا ويلك ، إلى متى هذا التمادي في الغرور فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وأما قولك: (من أهل السُنّة) فدع يا أخي أهل السُنّة بحالهم، فإنك مـا رأيـتهم ولا عرفتهم ولست عندهم ببال، وأما قولـك:وإن قـال لـك بعـض الملاحـدة ويكنـي بذلك عن جماعة أنت تعرفهم، وتعرف أنك مفترٍ عليهم أن هؤلاء القـوم، وهـم القـوم لهم اصطلاح فهو كلام لا يعبأ به؛ لأن إبراهيم البقاعي قال هكذا إنـه كـلام لا يعبـأ بـه وردَّه بصدره، فقد قال الفقهاء والفقراء:إن من قال ما يخالف الشرع، ولا نـأول كلامـه فإذا سلمنا ذلك فهات من قال ما يخالف الشرع حتى تدّعي فيه ذلك، ولا تتول كلامه، فنحن ما رأينا من قال ذلك، ولكن رأينا منَ تكلم بالحقائق على خلاف مفادكم، لا على خلاف الشرع، بل وجدناه لُب الشرع ولبابه فأنكرتموه لقصور باعكم عن مأخذها مـن الشرع، ونقص حظكم من العلم لعدم رياضة النفس بالاتبـاع، وإنكـارك للاصـطلاح إنكار لعين الشمس، إذ لهم في ذلك مصنفات كثيرة عديدة تختص ببيان كلماتهم خاصـة وممن تعرض لذلك وصرح به في مواضع من مصنفاته حجة الإسلام الغزالي ﷺ وأنـت

تريد أن تستدل بكلامه على خلاف دعوانا، وتقول: إنه منكر لـذلك، وهـو ﷺ لم ينكـر إلا على المشبهين بالقوم فيما يتكلمون به من غير حال لهم ولا سبق معاملة أوجبت ذلك لهم بل يفترون بذلك على الله تعالى، وذلك أقوى على ثبوت المدعى وأزكى شاهد فتأمل وانظر في كتاب «الإحياء» وأقرأ باب التوحيد وانظر في كتابه «مشكاة الأنـوار»، وانظـر إلى كلامه في الاتحاد في أول شرحه للأسماء الحسنى فإذا رأيت فاسـتدلل بكلامـه علينـا بعد ذلك، وهذا الاصطلاح قد ذكر الإمام القشيري طرفًا منه في رسالته، وعقد له بابًـا ونقل فيه عن كثير مـن مـشايخ الـصوفية ﷺ، وكـذلك الإمـام شـهاب الـدين عمـر السهروردي في «عوارف المعارف»، وممـن مـشى عـلى سـنن هـذا الاصـطلاح الجنيـد والسري، ومعروف الكرخي، والـشبلي، وأبـو سـعيد الخـراز، والحـسين بـن منـصور الحلاج، وأبو الحسن الحرالي(١)، وأبو الحسن الشاذلي، وأبو العباس المرسي، وتاج الـدين

---

(١) هو الإمام فخر الدين أبو الحسن علي بـن أحمـد بـن الحسين بـن أحمـد بـن إبـراهيم التجيبـي، الأندلسي الحرالي، نسبة إلى حرالة، بلدة من أعمال مرسية، بجاني الدار، عـالم زهـر بـدر كمالـه، وبهر نور شمس جماله، وصوفي رفعت راية مجده، وتحلت محاسن أهل الطريق بجور عقدة.

ولد بمراكش، واشتغل بالعلوم، فأخذ العربية عن ابن خـروف والقرطبـي وتلـك الطبقـة، وحـج، ولقي العلماء، وجال في البلاد، ودخل مصر، فأقام في بلبيس مدة، ثم سكن طرابلس، وشـارك في عدة فنون، حتى صار يقرأ أحد عشر علمًا، وجد واجتهد بحيث أقام سنين يجاهد نفسه، حتى استوى عنده من يعطيه ألف دينار ومن يؤذيه أو يزري به، وكان من العجائب في جودة الـذهن وفرط الذكاء واستخراج الحقائق، حتى وصفه صاحب عنوان الدراية بالعالم المطلق.

وله اليد الطولى في علم الحرف، حتى أنه حكى عن نفسه أنـه فـتح عليـه بـه في عـشرة أيـام، وسـائر الحروف في ثلاثة أيام وليالٍ، وألف في سبعة.

بحث استخراج وقت خروج الدجال، وطلوع الشمس من المغرب.

=

وكان إمامًا يعلم الكلام، ثم أقام أخرًا بحماة، وبها مات.

وكان ابن تيمية يحط عليه على عادته، ويقول: هو فلسفي التصوف، متكلم في عقيدته.

وكان من أحلم الناس؛ بحيث يضرب به المثل، ولا يقدر أحد أن يغضبه.

وصنف تفسيرًا ملأه بحقائقه، ودقائق فكره، ونتائج قريحته، وأبدى فيه من مناسبات الآيات والسور ما يبهر العقول وتحار فيه الفحول، وهو «رأس مال البقاعي»، ولولاه ما راح ولا جاء، لكنه لم يتمه، ومن حيث وقف وقف حال البقاعي في مناسباته.

ومن تصانيفه التي قال في العنوان أنها مصلحة للعلوم: «فتح الباب المقفل في فهم الكتاب المنزل»، وكتاب «العروة»، وكتاب «التوشية والتوفية»، و«إصلاح العمل لانقضاء الأجل»، و«الاستقامة للنجاة يوم القيامة»، و«شرح السنة العلية»، و«شرح الأسماء الحسنى»، و«اللمعة»، و«شمس مطالع القلوب في علم الحرف»، و«شرح الموطأ»، و«الشفا»، و«إرشادات المعالي»، وإبداء الخفا شرح أسماء المصطفى ﷺ (بتحقيقنا) وغير ذلك.

وما من فن شرعي إلا وألف فيه، وكان أمة في التصوف وعلوم الحقائق، ولا يلحقه في ذلك لاحق.

وكان ابن حجر يغض منه على عادته مع هذه الطائفة، وقال: كان الرجل فلسفي التصوف-وأنكر عليه استخراج ما ذكر- وقال: ما عَلِمَه رسول الله وهؤلاء الجهلة يدعون معرفته.. فعده من الجهلة، بعد وصفه بالعلم المفرط وحسن الصمت وجموم الفضائل!

ومن كراماته أنه قال: إذا أذن العصر أموت. فلما أذن أجاب المؤذن ومات عقبه.

ومن كلامه: إن لله مواهب جعلها أصولاً للمكاسب، فمن وهبه عقلاً، يسّر عليه السبيل، ومن ركب فيه خرقًا، نقص حظه من التحصيل.

وقال: إن الله إذا اختار داعيًا، أقام له من يلقن عنه ويبين.

وقال: من عرف نفسه عرف ربه، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:٤٢].

=

=

وقال: من حين بلغت، ما فاتتني ليلة القدر.

وقال: قد علم الأولون والآخرون أن فهم كتاب الله منحصر إلى علم علي ﷺ ومن جهل ذلك فقد ضل عن الباب الذي من ورائه يرفع عن القلوب الحجاب.

وقال: إن للقرآن علوًا من الخطاب يعلو على قوانين العلوم علو كلام الله على كلام خلقه.

وقال: الربوبية إقامة المربوب لما خلق له وأريد له، فرب كل شيء مقيمه بحسب ما أبداه وجوده، فرب المؤمن ربه، ورباه للإيمان؛ ورب الكافر ربه، ورباه للكفران؛ ورب محمد ربه، ورباه للحمد، «أدبنى ربي فأحسن تأديبي».

وقال: كل زائد على الكفاف فتنة، والملة الحنيفية مبنية على الاكتفاء باليسير من المأمورات، والمبالغة في الحمية عن المنهيات لكثرة مداخل الآفات منها على الخلق.

وقال: الحمية أصل الدواء، فمن لم يحتم عن المنهيات، ولم ينفعه تداويه بالمأمورات.

وقال: أحب العبادة إلى الله ترك الدنيا وحمية النفس من هوى جاهها ومالها، بل نبيًا عبدًا، أجوع يومًا. وأشبع يومًا، «ومن رغب عن سنتي فليس مني(١)».

وقال: الصلاة علم الإيمان، تكثر بقوته، وتقل بضعفه.

وقال: الصوم إذلال النفس لله بإمساكها عن كل ما تتشوق إليه نهارا، وإنما فرض بالمدينة لأنهم حين فرغوا من عداوة الأمثال والأغيار، عادت الفتنة خاصة في الأنفس بالتبسط في الشهوات، وذلك لا يليق بمؤمن يؤثر الدين على الدنيا.

وقال: من صلى وهو مصر على معصية لم تزده صلاته من الله إلا بعدًا.

وقال: من سابق الإمام مُسخ قلبه قلب حمار.

وقال: ليس لذكر الله وقت إلا كل وقت، ومن كان لسانه رطبًا بذكر الله، لقي الله وليس عليه خطيئة، يضع الذكر عنهم أثقالهم، فيأتون يوم القيامة خفافًا.

وقال: ينبغي للعبد أن يستغفر الله من جميع حسناته- فضلاً عن سيئاته- ويتوب من نقص توبته، فإن أفضل التوبة التوبة من التوبة.

=

ابن عطاء الله السكندري وغيرهم كالأستاذ عبد القادر الجيلي ﷺ في كتابه «فتوح الغيب» وسهل بن عبد الله التستري ﷺ في تفسيره، وأبو شعيب مدين المغربي ﷺ وغيرهم ممن شاء الله تعالى، ﷺ أجمعين.

=

وقال: من قارف معصية الله بعد العصر لم ينظر الله إليه؛ لأنها خاتمة النهار، ولا صلاة بعدها، كما لا نبي بعد صاحب وقتها.

وقال: أفضل الدين زهد القلب في جيفة الدنيا، وورع اليد فيما تتناول عند الضرورة أو الحاجة، فمن لا زهد لقلبه، ولا ورع ليده، فلا دين له، ولا يبالي الله في أي أوديته أهلكه.

وقال: إياك وفضول المطعم، فإنه يسم القلب بالقسوة، ويبطئ الجوارح عن الطاعة، ويصم الهمم عن سماع الموعظة.

وقال: ليس في الكلام في أمر الدنيا بعد صلاة الصبح إلى الإشراق، رخصة لأحد من الناس، ولا يصلح إلا للذكر.

وقال: أكثر ضلال الخلق، إنما هو لاعتقادهم أن عمارة الدنيا سبب للرزق، وأن الحرص سبب لتحصيله.

وقال: من عزّ بغير الله، فعزه ذل.

وقال: إدامة ذكر الله، تورث الصحة والهناء.

وقال: في الاستقامة راحة الدارين، وفي العوج شقاؤهما، وما للعمر إذا ذهب مسترجع، ولا للوقت إذا ضاق مستدرك.

وقال: أول قدم في الاستقامة العمل على العبودية، وهو أن يعمل على أنه عبد لا حر؛ لأنه من أمة نبي عبد لا ملك.

مات بحماة سنة سبع أو ثمان وثلاثين وستمائة، ثاني عشر شعبان، وهو شيخ البوني. انظر: الكواكب الدرية للشيخ المناوي (٥٣٧) بتحقيقنا.

يعرف ذلك من كلامهم أهل الذوق والفهم وينكره البليد العزم فخذ هؤلاء في مقابلة صحبك فأيهما أجل وأعلى وأعز وأغلى، وإن يكن ولابد فهؤلاء هم أئمة الهدى والدين والله ولي المتقين، هذا على أن المُغيب والعارف إذا أجرى عليه ما شاء من القول والفعل فلا نكر عليه إذ ليس هو عن أمره، وانظر إلى قصة موسى والخضر عليهما السلام والصلاة تعرف ذلك، وانظر إلى جوابه حيث قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف:٨٢] يشير إلى ما فعله من الفعل المخالف عند من لم يتحقق بعلمه، ولم ينسخ هذا الحكم في شرعنا لأهل الولاية والعلم اللدني، وانظر إلى قصة موسى صلوات الله وسلامه عليه مع برخ، وأرح نفسك من هذا التعب الذي أنت فيه؛ فلم تستشف من نفسك داوئهم، وتنفخ في غير ضَرمٍ، لا جرم أنك لو رأيت كلام الغزالي ﷺ في مثل ذلك، وتأويله لمثل مقالة أبي يزيد، وكذلك السهروردي ﷺ لاستحييت مما ذكرت وطويت ما نشرت[١] ..... آخر ما وجد منه.

وصلى اللهم على سيدنا محمد ﷺ وعلى سائر الأنبياء والمرسلين والملائكة والمقربين والأحباب والمحبين والمحبوبين من أهل السموات والأرضين والأمة أجمعين

***

(١) وللقوم اصطلاحات أرادوا بها معاني غير المعاني المتعارفة، فمن حمل ألفاظهم على معانيها المتعارفة بين أهل العلم الظاهر ربما كفر، كما قال الغزالي ﷺ.

أهم مصادر البحث والتحقيق

- الإمام الجنيد سيد الطائفتين، للمزيدي.

-أسباب ورود الحديث الشريف، لابن حمزة الحسيني، المكتبة العلمية، بيروت.

- إحياء علوم الدين للغزالي.

- الأعلام للزركلي.

- الانتصار للأولياء الأخيار للموصلي.

-بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادي، المكتبة العلمية.

- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية .. في الحلول والاتحاد. لابن تيمية.

- البداية والنهاية لابن كثير.

- تاج العروس، للزبيدي، المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٦.

- الترغيب والترهيب للمنذري، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٩٦٨م.

- جامع الأصول في الأولياء للكمشخانوي.

- جمع المقال في إثبات كرامات الأولياء في الحياة وبعد الانتقال (١٠-رسائل) المزيدي.

- جمهرة أنساب العرب، لابن حزم، دار المعارف بمصر، ط٤، ١٩٧٧م.

- جمهرة اللغة، لابن دريد، حيدر آباد ١٣٤٤.

- الحلية لأبي نعيم.

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، للبغدادي.

- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، للزمخشري، وزارة الثقافة، بغداد.

- الرسالة القشيرية للأبي القاسم القشيري.

- روضة الحبور ومعدن السرور لابن الأطعاني.

- سنن الترمذي، طبعة المكتبة الإسلامية.

- سنن الدارمي، دار إحياء السنة النبوية.

- سنن أبي داود.

- سنن ابن ماجه، دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٣م.

- سنن النسائي.

- سير أعلام النبلاء للذهبي، مؤسسة الرسالة ببيروت ط١، ١٩٨١م.

- شذرات الذهب لابن العماد.

- شرح جوهرة التوحيد للقاني.

- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري، دار العلم للملايين.

- صحيح البخاري، فتح الباري.

- صحيح مسلم.

- صفوة الصفوة لابن الجوزي.

- طبقات الصوفية للسلمي.

- طبقات الأولياء لابن الملقن.

- الطبقات الكبرى للشيخ الشعراني.

- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام.

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر.

- الفتوحات المكية للشيخ الأكبر.

- فوات الوفيات، لابن شاكر.

- فيض القدير للمناوي.

- القاموس المحيط، للفيروزابادي.

- قمع المعارض في نصرة ابن الفارض للسيوطي.

- الكامل في التاريخ، لابن الأثير، دار صادر.

- كشف الخفاء، للشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني.

- كشف الظنون، لحاجي خليفة.

- الكواكب الدرية في طبقات الصوفية للمناوي.

- كيمياء السعادة للغزالي.

- لطائف الأعلام للقاشاني.

- لسان العرب، لابن منظور.

- مرآة الجنان لليافعي.

- مسند الإمام أحمد.

- مشكاة الأنوار للغزالي.

- المصنف، لابن أبي شيبة.

- المصنف لعبد الرزاق.

- معجم البلدان، لياقوت الحموي.

- معجم قبائل العرب، لعمر رضا كحالة.

- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة.

- مفتاح العلوم للخوارزمي.

- الميزان الذرية في بيان عقائد الفرقة العلية للشعراني، دارة الكرز.

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ليوسف بن تغري بردي.

- نشر المحاسن لليافعي.

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقري التلمساني.

- هدية العارفين للبغدادي.

- الوحيد في سلوك أهل التوحيد للقوصي، دارة الكرز.

- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان.

التعريف بالمحقق

هو الشيخ أحمد بن الشيخ فريد بن الشيخ أحمد بن الشيخ مزيد السوهاجي الحسني، الشافعي القادري الأكبري الأحمدي الأزهري، أبو الحسن والحسين، المزيدي.

من مواليد حي- الشعراني- بالقاهرة.

نشأ في أسرة سلفية، كان والده من كبار مشايخ السلفية، وله رسائل حسنة في الفقه وفضائل الأعمال.

بدء الشيخ المحقق حياته في المدارس السلفية وأخذ عن أشهر مشايخها في مصر ولازمهم، وصنَّف وحقق كتبًا كثيرة في منهجهم الوهابي، حتى هداه الله للعلم الشريف، والسبيل الحق السوي الصحيح، فأقبل على التصوف ودأب على خدمته، والسعي على نشر علم السادة الصالحين والعلماء العارفين، أدام الله خيره ... آمين.

فقد تلقى العلم عن أكثر من خمسين عالم من بلاد مختلفة، أولاهم عنده شيخ القوم والطريق المربي سيدي: مصطفى بن عبد السلام-قدس الله سره-.

حصل على إجازات متعددة في الحديث وعلوم الشريعة.

- عمل عميدًا لمكتبة المصطفى-بشبرا مصر.

عمل خبيرًا وباحثًا للمخطوطات العربية بمعهد المخطوطات-بالجامعة العربية- القاهرة.

-وهو أحد الثلاثة الذين رشحوا لجائزة مؤسسة التقدم العلمي بالكويت سنة ٢٠٠٥ وذلك باعتباره من الشخصيات البارزة في تحقيق التراث ..

أنشأ دار الحقيقة المحمدية للبحث العلمي وتحقيق تراث السادة الصوفية.

بعض أعمال الشيخ المحقق والمؤلف

في التصوف

- لوامع الأنوار وروض الأزهار في الرد على من أنكر من المتكلمين، لعبد الحافظ المالكي.
- المعاني الدقيقة الوفية فيما يلزم نقباء السادة الصوفية للأبشيهي.
- المواهب المحمدية بشرح الشمائل الترمذية.
- المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي للسخاوي.
- المنهاج السوي في ترجمة النووي-مع تحرير التنبيه ورسائل للنووي.
- جلاء القلوب من الأصداء الغيبية ببيان إحاطته بالعلوم الكونية للشيخ الكتاني.
- سر الأسرار للشيخ عبد القادر الجيلاني.
- فتوح الغيب للشيخ الجيلاني.
- قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر للتاذفي.
- السيف الرباني في عنق المعترض على القطب الجيلاني لابن عزوز.
- بهجة الأسرار ومعدن الأنوار للشطنوفي.
- خلاصة المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر لليافعي.
- كتاب الزهد لهناد السري.
- كتاب الزهد لأبي حاتم الرازي.
- كتاب الزهد لوكيع.

- كتاب الزهد لأبي داود.
- الفوائد في الزهد لأبي جعفر الخلدي.
- الزهد لأسد بن موسى.
- شرح تائية ابن الفارض للقيصري.
- شرح التائية للقاشاني.
- أشرف الوسائل إلى فهم كلام الشمائل لابن حجر الهيتمي.
- تحفة الزوار لقبر النبي المختار لابن حجر الهيتمي.
- الشمائل المحمدية للترمذي.
- الأحاديث النبوية في الترغيب والترهيب لليافعي.
- الشفا في حقوق المصطفى ﷺ للقاضي عياض.
- الدرر واللمع في بيان الصدق في الزهد والورع للشعراني.
- إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين للشعراني.
- مختصر فرائد القلائد للشعراني.
- الكوكب الشاهق في الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق للشعراني.
- العرائس القدسية في معرفة الدسائس النفسية لمصطفى البكري.
- السيوف الحداد في أعناق أهل الزندقة والإلحاد لمصطفى البكري.
- الروضات العرشية شرح الصلاة المشيشية لمصطفى البكري.
- كروم عريش التهاني شرح صلاة ابن مشيش الداني لمصطفى البكري.
- الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر للديري.

- كتاب الأربعين في إرشاد السائلين
- روضة الحبور ومعدن السرور لابن الأطعاني.
- الأرواح للعلواني.
- الحقيقة الباهرة في أسرار الشريعة الطاهرة، لأبي الهدى الصيادي.
- الحكم المهدوية للرواس.
- النفحات الشاذلية شرح البردة البوصيرية لحسن العدوي.
- النطق المفهوم من أهل الصمت المعلوم لطغرو التركماني.
- إحياء القلوب شرح حكم سيدي محمود الكردي.
- شرح الحكم الصوفية (الكردية) للشرقاوي.
- شرح الحكم الأكبرية للبابي الكردي.
- شرح الحكم الغوثية لابن علان الصديقي.
- حكم سيدي مصطفى البكري.
- شرح الحكم الأكبرية للداموني.
- قوانين حكم الإشراق للمواهبي.
- البيان والمزيد-شرح حكم أبي مدين- لباعشن.
- قلائد الزبرجد شرح حكم مولانا أحمد لأبي الهدى الصيادي.
- الشرف المؤبد لآل محمد للنبهاني.

- تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس لابن عطاء.
- أصول الهداية لابن باديس.
- الورع للإبياري.
- بهجة المسافر في مناقب الشيخ عدي بن مسافر.
- بوارق الحقائق للرواس.
- الطريقة الرفاعية للرواس.
- بحر الفوائد للكلاباذي.
- بيان أحوال الناس يوم القيامة للعز بن عبد السلام.
- راحة الأرواح للصيادي.
- شمس المعارف الصغرى للبوني.
- جامع الأصول في الأولياء للكمشخانوي.
- شرح مشاهد الأسرار القدسية للست عجم بنت النفيس.
- رسائل الشيخ ابن سبعين.
- الانتصار للأولياء الأخيار للموصلي.
- الكواكب الدرية في طبقات الصوفية للمناوي.
- محاسن الأخبار في الصلاة على النبي المختار ﷺ للأبشيهي.
- الإمام الجنيد سيد الطائفتين.
- الدلالة على الله للصقلي.

- الأنوار في علوم الأسرار للصقلي.
- نسمات الأسحار في كرامات الأولياء الأخيار لبن علوان الحموي.
- جمع المقال في إثبات كرامات الأولياء في الحياة وبعد الانتقال (١٠-رسائل) المزيدي.
- شعاع النور في أحكام القبور، للمزيدي.
- كشف النور عن أصحاب القبور للنابلسي.
- تنبيه الأنام في بيان علو مقام نبينا عليه الصلاة والسلام لابن عظوم.
- لسان القدر في نسيم السحر للجيلي.
- قاب قوسين وملتقى الناموسين للجيلي.
- شرح الصلاة الأكبرية لابن عبد الجليل القادري.
- أنوار النبي أسرارها وأنواعها لابن سبعين-شرح المزيدي.
- - المعزى في مناقب سيدي ابي يعزى للتادلي.
- المنهاج الواضح في كرامات سيدي أبي محمد صالح للماجري.
- تمام الفيض في باب الرجال الصوفية الجلوتية للشيخ إسماعيل حقي.
- تحفة الكرام في مناقب سيدي أبي بكر بن قوام لولده.
- الكرامات الجبرتية للشيخ ابن الأشكل.
- مقامات العلماء للغزالي.
- سر العالمين وكشف ما في الدارين للغزالي.
- المصباح في أذكار المساء والصباح للمنبجي.
- البهجة السنية في آداب الطريقة الخالدية النقشبندية للخاني.

- فتوح الجوارح للشيخ الكتاني.
- الصدق والتحقيق لمن أراد ان يسير على الطريق للجنيدي.
- شرح الصلوات مسبعات الدردير، للجنيدي.
- حكم الفصوص وحكم الفتوحات للشريف ابن ناصر الكيلاني.
- عقد الزبرجد شرح اسمه محمد ﷺ لأبي البركات الأحمدي.
- إبداء الخفاء شرح أسماء المصطفى ﷺ للحرالي.
- فخر الأبرار شرح ما في اسمه محمد ﷺ من الأسرار للشرف الخليلي.
- شرح الأنفاس الروحانية لأئمة السلف الصوفية للديلمي.
- النور الأبهر في الدفاع عن الشيخ الأكبر للمزيدي.
- إرشاد ذوي العقول إلى براءة الصوفية من الاتحاد والحلول للمزيدي.
- شعائر العرفان لسيدي محمد وفا.
- نفائس العرفان لسيدي محمد وفا.
- المعاريج لسيدي محمد وفا.
- أعمال متعدة للسادة الوفائية.
- أعمال متنوعة للسادة الرفاعية.
- أعمال متنوعة للسادة الشاذلية.
- أعمال متعددة وخاصة للسادة القادرية النبوية.

وغير ذلك كثير طُبع، وتحت قيد الطبع.

وصل اللهم على سيدنا محمد ﷺ وآله وصحبه وسلم كثيرًا

فهرس الموضوعات — الصفحة

فهرس الموضوعات	الصفحة
تقديم وتقريظ فضيلة الشيخ أحمد بن الشيخ محمد مصطفى القادري	٩
المصنف وكتابه	١٣
كشف الشيخ المناوي للبقاعي	١٥
ترجمة سيدي ابن الفارض	١٧
نماذج من المخطوط	٢٩
مقدمة الشيخ المصنف	٣١
بداية الرد علي البقاعي في عرض كلامه ومناقشته في رسالته الظالمة ...	٣٥
أسئلة المصنف للبقاعي	٤٢
حقيقة الحال والمقام والفرق بينهما	٤٣
قول علماء الحنفية في حكم تكفير المسلم بغير حق	٤٧
التوحيد عند القوم	٥٧
بيان مراد الشيخ ابن الفارض في الأبيات المعترض عليها	٧٢
دفع شبهة الحلول والاتحاد	٨٧
تطاول البقاعي على شيخه الحافظ ابن حجر العسقلاني	٩٩
سب البقاعي لشيخه أبي الحسن الحرالي	١٠٠
أهم المصادر والمراجع	١٠٩
التعريف بالشيخ المحقق	١١٣

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

https://twitter.com/SourAlAzbakya